ثقافية إسلامية

بقية الله

العدد الواحد والثلاثون ـ شهر شوال ـ ١٤١٤ هـ ـ السنة الثالثة

محتويات العدد

دراسة
الحدود العقائدية
(ص ٢٢)

المرأة
بين
الإسلام والحضارات
(ص ٥٤)

أخلاق العاملين ـــــــــــ ٨
معرفة الله ـــــــــــ ١٣
التشيع والإسلام ـــــــــــ ٣٠
السالك والمريد ـــــــــــ ٥٢
العلامة الطباطبائي على لسان ابنته ـــــ ٦٨
أبو سفيان ابن الحارث ـــــــــــ ٧٤
رسالة من حارس روح الله ـــــــــــ ٨٤
مكتبتنا الإسلامية ـــــــــــ ٩٠
مع الشهداء ـــــــــــ ٩٤

من هدي القرآن (٤) كلامكم نور (٦) مفردات القرآن (٨٣)
حلول المفردات (٨٩) مسابقة العدد (٨٨) كلمات متقاطعة (٩٦)

تصدر عن مدرسة الإمام المهدي (عج) ـ بيروت ـ لبنان ـ ص.ب : ٢٤/١٣٥

بسم الله الرحمن الرحيم

معكم

أعظم العطايا

إلهي أنت الفياض الذي لا يؤوده شيء، ولا يحول دون وصول رحمته أحد. ولأنك كذلك فإنك تفيض على عبادك بكل خير وكمال وأنت القادر على كل شيء.

حقيقة إلهية تتجلى على قلوب العارفين، ويستضيء بنورها المستبصرين، ويسير بمراتبها السالكين. فهي منبع الحقائق وأصل كل خير، ومفتاح خزائن الرحمان في الدارين.

وإليها أشار سيد العارفين ومولى الموحدين عليه السلام في مناجاته:

« إلهي ماذا فقد من وجدك، بل ماذا وجد من فقدك »،

فمن أدركها بحقيقة اليقين يمم شطر وجوده إلى شاطئها المقدس، وأشاح بوجهه عن كل ما عداها:

« عظم الخالق في أنفسهم فصغُر ما دونه في أعينهم »

وهناك تلتمس العطايا، ومن أعظمها نعمة الهداية والتنوير:

« العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده »

على صفحات هذا العدد نقرأ قصة السالك والمريد، فهي قصة طالب وجد وقاربِ وَرَد، هي قصة التسعيني الذي أدرك في سني عمره الأخيرة

جاذبة الرحمان التي تعادل عمل الثقلين، فعشق إمام زمانه وانقطع عمن سواه. وبعشقه هذا أدرك كنه الحقيقة وأحرق كل أكوام التعلّقات،وخرق كل حجب الغفلة والضياع.

وما أروع التربية التي تنطلق من نور الوحي ومشكاة النبوّة، ولا تتوقف عند حدود المصطلحات الجافة والقشور المتحجرة التي هي ظلمات بعضها فوق بعض.

حيث أراد الإمام عليه السلام من عنوان البصري أن يدرك جوهر المعرفة بطلب الحق سبحانه، ولما وجده هكذا فتح عليه خزائن الغيب، لتمطر سحائبه بكرائم الكلم من صحائف اللوح المحفوظ.

فابتدأه بقوله عليه السلام:

« ليس العلم بكثرة التعلم »،

لأن الحق الأشرف لا يمكن إدراكه برؤية النفس والأنانية، ولا بالركون إلى الدنيا ومحسوساتها.

وعالجه بطلب العبودية قبل التعلم، لأن العلم نور يهدي إلى جوار الله. ولا يجاور الله إلا من اختص بحفظ أدب الحضور برعاية العبودية.

وما أسوأ من طلب العلم ليماري به السفهاء أو يباهي به العلماء لأنه يكون قد أضاع كل شيء بفقد الجوار وحظ اللقاء:

« يا حسرتي على ما فرّطت في جنب الله »

فإلى السالكين طريق الحقيقة والمشتعلين بجمرة العشق: يبقى حضور الله في أعماقهم ألذ نصيب لا يستبدلونه بعاجل الدنيا الفاني لأنهم هُدوا إلى الطيب من القول، وهُدوا إلى صراط العزيز الحميد

والسلام عليكم

رئيس التحرير

الإصلاح

لقد احتل الصلاح والإصلاح والعمل الصالح مكانة عالية في التعاليم والمبادئ الإصلاح غاية بعثة الأنبياء جميعاً: ﴿ إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ﴾، وقرن ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً ﴾.

ومن هنا يجدر بكل مؤمن السعي لاكتساب هذه المواصفات والفضائل حتى

١ ـ الأمر بالاصلاح:

- ﴿فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم﴾ (الأنفال / ١)
- ﴿وإن طائفتان من المؤمنين إقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ (الحجرات / ٩)
- ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ (الحجرات / ١٠)

٢ ـ جزاء الصلاح والاصلاح:

- ﴿وإني لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثمّ اهتدى﴾ (طه / ٨٢)
- ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾ (النحل / ٩٧)

٣ ـ الجهاد مصداق للعمل الصالح:

- ﴿ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح﴾ (التوبة / ١٢٠)

٤ ـ وراثة الصالحين للأرض:

- ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ (الأنبياء / ١٠٥)

٥ ـ ولاية الله للصالحين:

- ﴿إن وليي الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾ (الأعراف/١٦٩)

والصلاح

الإسلامية، فقد أثنى الله سبحانه على كثير من عباده لاتصافهم بصفة الصلاح، وجعل الايمان بالعمل الصالح فجعلهما توأمين لا ينفصلان ولا يستكمل أحدهما دون صاحبه:

ينال رضى الله سبحانه ويفوز بسعادة الدارين « الدنيا والآخرة ».

٦ ـ عدم إستواء الصالحين مع غيرهم:

- ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾ (ص / ٢٨)
- ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم﴾ (الجاثية / ٢١)

٧ ـ الإصلاح غاية بعثة الأنبياء:

- ﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله﴾ (هود / ٨٨)

٨ ـ نماذج صالحة:

- ﴿وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين﴾ (الأنعام / ٨٥)
- ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ (البقرة / ١٣٠)
- ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين﴾ (الأنبياء / ٧٢)
- ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين﴾ (النساء / ٦٩)

المجلس

١ ـ اشرف المجالس:

* «ان لكل شيء شرفاً وإن اشرف المجالس ما استقبل به القبلة».

الرسول الأكرم (ص)

٢ ـ ما يلزم مراعاته في المجالس:

* «إذا أتى احدكم مجلساً فليجلس حيث ما انتهى مجلسه».

الرسول الاكرم (ص)

* «من رضي بدون الشرف من المجلس، لم يزل الله وملائكته يصلون عليه حتى يقوم».

الإمام العسكري (ع)

* «دخل رجل المسجد وهو صلى الله عليه وآله جالس وحده، فتزحزح له فقال الرجل: في المكان سعة يا رسول الله! فقال صلى الله عليه وآله: ان حق المسلم على المسلم اذا رآه يريد الجلوس إليه ان يتزحزح له».

٣ ـ صدر المجلس:

* «لا يجلس في صدر المجلس إلا رجلٌ فيه ثلاث خصال: يجيب اذا سئل وينطق اذا عجز القوم عن الكلام، ويشير بالرأي الذي فيه صلاح أهله، فمن لم يكن فيه شيء منهن فجلس، فهو أحمق.

الإمام علي (ع)

٤ ـ لا تجلس في هذه المجالس:

* «من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر، فلا يجلس في مجلس يسبُّ فيه إمام، أو يغتاب فيه مسلم.

* «لا تجلسوا على مائدة يشرب عليها الخمر، فإن العبد لا يدري متى يؤخذ»
الإمام علي (ع)

* «إياك والجلوس في الطرقات».

* «من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر، فلا يقوم كان ريبة».

٥ ـ عليك بمجالس الذكر:

* «ارتعوا في رياض الجنة، قالوا: يا رسول الله، وما رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر».
الرسول الأكرم (ص)

* «اختر المجالس على عينيك، فإن رأيت قوماً يذكرون الله عز وجل فاجلس معهم فإنك ان تكُ عالماً ينفعك علمك ويزيدونك علماً، وان كنت جاهلاً علّموك ولعلَّ الله يظلّهم برحمة فتعمك معهم».
لقمان الحكيم

* «عن مولانا الصادق عليه السلام لفضيل: تجلسون وتحدثون؟ قال: نعم جعلت فداك، قال: ان تلك المجالس أحبها فأحيوا أمرنا فرحم الله من أحيا أمرنا، يا فضيل! من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه»..

٦ ـ كفارة المجلس:

* «ان كفارة المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا انت ربِّ تب عليَّ واغفر لي».
الرسول الاكرم (ص)

الوظيفة الاساسية رعاية المحرومين والمؤمنين الضعفاء

تحدثنا في البحث السابق عن ضرورة رعاية النظام بالنسبة للعاملين في الاجهزة الحكومية، وعن آثاره القيمة كما ورد عن لسان سياسيي البشرية وولاتها الحقيقيين الائمة الاطهار عليهم السلام، وتبين لنا خطورة الفوضى ومآسيها.

وما نريد ان نتحدث عنه اليوم هو ان الوظيفة الاساسية للعاملين في النظام الاسلامي هي رعاية أحوال المحرومين والمستضعفين. ففي الوقت الذي يجب على كل مسؤول أن يرى مقامه ومنصبه أمانة إلهية، وأن التساهل فيها والتهاون في الامتثال لمطالبها خيانة ورذيلة، وان الجميع لهم الحق بعدله واحسانه، فإنه عليه أن يعتني بشكل أكبر بالطبقة المحرومة ويقدمهم على غيرهم من المرفهين والمتنعمين بعدل الاسلام وقسطه.

فالنظام الاسلامي، وان كان يمتلك عدالة واسعة واحسانا شاملاً، لكنه يقدم البعض لاجل مواجهة المشاكل الكبرى على غيرهم. لان هؤلاء يفتقدون للكثير من الامكانات الحياتية الاولية التي لا غنى عنها. ويجب أن تعاد إليهم حقوقهم التي سلبها المتسلطون والناهبون.

فاذا لم يكن النظام هكذا، واذا لم يفكر العاملون فيه هكذا، واذا ساوى المسؤولون بين المحروم والمرفّه، ولم يسعوا لتعريف القوي المقتدر على حقوق

آية الله جوادي الآملي

المحرومين، ولم يأخذوا بأيدي الضعفاء المساكين ولم يحفظوا وجودهم، فإن هذا النظام لن تكتب له الحياة ولن يستمر.

فهذا عظيم العالم وقائد الاسلام علي بن أبي طالب عليه السلام يوصي مالك الاشتر في عهد إليه ان يجعل للمحتاجين مجلساً خاصاً يجلس معهم بدون أية أبهة أو تدابير عسكرية بل بالبساطة التامة والبشاشة بعيداً عن التصنع والمجاملة، فيستمع إلى مطالبهم ويسارع إلى تلبيتها، ثم يقول عليه السلام، اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«لن تقدّس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع»(١)، فالامة المقدسة هي التي تحترم حقوق الضعفاء، وتؤدي إليهم حقهم وتدين الظلم والتعدّي.

ورعاية المحرومين ليست بالترحم عليهم فقط، وتأمين حياتهم من بيت المال، لان هذا العمل مساعدة عاطفية ملازمة للترحم دون الاحترام. أما حرمة المحرومين وكرامتهم فهي أن نرجع إليهم حقوقهم المهدورة. فاذا غُصب مالهم، أو اغير على مزارعهم وبساتينهم، أو لم يحصلوا على الخدمة المطلوبة، علينا أن نسترد حقوقهم بالتدخل ومتابعة محكمة العدل.

(١) نهج البلاغة الكتاب ٥٣.

لهذا، فإن مسؤولية العاملين في الحكومة الاسلامية فيما يتعلق بتأمين حاجات المحرومين تنقسم إلى مرحلتين: المرحلة الاولى استرداد الحقوق المهدورة، والثانية تأمين احتياجاتهم من بيت المال. وهذه المرحلة الثانية بدورها هي أخذ حق الضعيف من القوي. فكما أن رفع الفقر والحرمان ضروري، فإن دفعه ومواجهته لازمة أيضاً.

ان العاملين مكلفون بتنمية أسباب وعوامل التكاثر (الازدهار) ومنع أي شخص من التعدي على حقوق الافراد أو المجتمع لبلوغ قمة الازدهار المالي وجمع الثروة وترك الآخرين في وادي الفقر والفاقة بتضييع حقوقهم المسلّمة.

وهنا يطرح موضوع الاحتكار ـ الذي هو ضرر لا يحتمل يصيب الاقتصاد السالم. وهنا ينقل أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله حديثاً حول مسؤولية العاملين في هذا المجال، فيقول:

«فامنع من الاحتكار، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منع منه، وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل، واسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع، فمن قارف حُكرة بعد نهيك اياه فنكّل به وعاقبْه في غير اسراف»(١).

(١) نهج البلاغة الكتاب ٥٣.

ويكتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى أهل مصر حين ولّى عليهم عامله مالك الاشتر النخعي قائلاً:

فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيام الخوف ولا ينكلُ عن الاعداء ساعات الروع، أشد على الفجار من حريق النار»(١)، ولاجتناب الاحتكار والحذر من مخاطره نستمع إلى حديث النبي الاكرم صلى الله عليه وآله.

فقد جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسأله: بماذا أشغل ابني وإلى أي عمل ادفعه؟ فقال (ص): لا تدفعنه إلى خصال، منها احتكار رزق الناس.. ثم قال (ص): «ولأن يلقى الله العبدُ سارقاً أحبّ إلي من أن يلقاه قد احتكر طعاماً أربعين يوماً»(٢).

وقال صلى الله عليه وآله: «الجالب مرزوق والمحتكر ملعون»(٣).

وقال: «لا يحتكر الطعام الا خاطىء»(٤).

«ونهى أمير المؤمنين عليه السلام عن الحكرة في الامصار»(٥).

وملخص الكلام ان إحدى اسوأ الظواهر الاقتصادية هي الاحتكار.

ويستفاد من سيرة أئمة الدين بشكل واضح أنهم كانوا يحاربون هذه الظاهرة بقوة. وعلى أتباعهم أن يحاربوا المحتكرين، ويعالجوا الاضرار الناشئة عنه.

فعلى العاملين في الحكومة الاسلامية أن يسلكوا، فيما يرتبط بالمسائل الاقتصادية، طريقة تعمل على إزالة الحرمان، والقضاء على الفقر من خلال السعي للنظام الاسلامي الصحيح في الكسب الحلال والحر.

وقد وري عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال:

«لو تمثل لي الفقر رجلاً لقتلته»(١).

ومن هنا، يجب الالتفات إلى عوامل الحرمان وإزالتها. ولا يكفي مساعدة الفقير ومواساته ورفع احتياجاته، بل ينبغي إزالة الفقر والقضاء عليه في المجتمع الاسلامي. واجراء الخطط الاقتصادية التي تؤدي إلى القوة الاقتصادية وترفع الفقر والاحتياج عن الطبقة المحرومة.

وتحصيل هذه الفضيلة بدون التوكل على الله سبحانه، والاستناد إلى وعوده الغيبية لا يمكن أن يحدث. لان الانسان اذا صرف كل همّه لاجل تجميع الامكانات

---

(١) نهج البلاغة الكتاب ٣٨.
(٢) من لا يحضره الفقيه ج ٣.
(٣ و ٤ و ٥) من لا يحضره الفقيه ج ٣.

---

(١) الامام علي صوت العدالة الانسانية.

المادية، فإن الله سبحانه سيسلط عليه الشعور الدائم بالفقر والاحتياج، فلا يرى امامه الا الفاقة والطلب. اما اذا صرف كل همّه لتحصيل رضا الله، ولم يبخل لأجل ذلك بأي سعي وجهد، فإن أعماله ستكلل دائماً بالنجاح وسوف يرى الغنى أمامه دائماً، ويبقى محفوظاً من الضغوط النفسية وتحير الخيال وانشغاله، لان هذا الشخص يعلم ان الله سبحانه ينزل الارزاق بقدر الحاجات، فاذا كان الامر زائداً عن الاحتياج لا ينزّله. فالمؤمن الواقعي هو الذي يعيش مطمئناً مرتاحاً نتيجة هذا الشعور.

قال أبو جعفر عليه السلام: «المعونة تنزل من السماء على قدر المؤونة»(١).

فأفضل الطرق لمحاربة المفاسد الاقتصادية والنقائص المالية هو تهذيب النفس وتربية الروح في بعدها المعنوي. فالانسان يمكن أن يعيش في كمال العزة بالكسب الحلال الحر بدون التعدي على حريم الأخرين. لان الله تعالى قد وعد العاملين بتأمين معيشتهم، والله لا يخلف وعده، فالانسان سواء كان عاملاً في سبيل الله أو محترفاً حراً، ليس مكلفاً بالعمل أكثر من طاقته والبقية على الله، في قضائه وقدره.

وعندما سأل سدير الصيرفي الامام الصادق عليه السلام عن ما ينبغي أن يبذله المرء في تحصيل معاشه. قال عليه السلام: يا سدير! لو فتحت باب دكانك وفرشت بساطك، فقد أدّيت ما عليك.

«لن تقدّس أمة لا يؤخذ فيها للضعيف حقه غير متتعتع»

وقال عليه السلام إن الله قد جعل أرزاق المؤمنين في طرق لا يتصورونها، وذلك أن العبدَ إذا لم يعرف وجه رزقه كثر دعاؤه.

فالمؤمن مكلف بالاعتماد على الطرق الغيبية وانتظار ما لا يُتوقع أكثر من انتظار المتوقع. قال علي بن أبي طالب عليه

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٣.

السلام: «كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو، فإن موسى بن عمران عليه السلام خرج يقتبس لأهله ناراً فكلّمه الله عزوجل ورجع نبياً وخرجت ملكة سبأ فأسلمت مع سليمان عليه السلام وخرج سحرة فرعون يطلبون العزة لفرعون فرجعوا مؤمنين»

وقال رجل لابي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: عدني. قال عليه السلام: «كيف أعدك وأنا لما لا أرجو أرجى مني لما أرجو»[1]..

وما ينبغي الالتفات إليه هو أن ما ذكر لا يختص بأصحاب الاعمال الحرة، بل يشمل جميع المؤمنين بالله، وبالاخص أولئك العاملين في الحكومة الاسلامية. وأصل جميع هذه الابحاث في القرآن الكريم حيث يقول الله سبحانه:

﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار﴾ (النور/ ٣٧).

فالفرق ما بين التجارة والبيع، هو نفس الفرق ما بين الحرفة والعمل المؤقت الخارجي، فلا أصل العمل وحرفة التجارة تلهيهم، ولا الشراء والبيع المربح والعمل العيني. والفرق بين «ذكر الله» والصلاة والزكاة، اللذين هما من المصاديق البارزة والكاملة لذكر الله، هو أن «ذكر الله» علامة على استمرار التوجه إلى الله ودوام الارتباط القلبي بالله سبحانه، اما الصلاة والصوم فهي أذكار خارجية مؤقتة وأعمال عينية، وهي تعادل «التجارة والبيع».

بناء على هذا، لا يوجد أية حرفة، سواء كانت حرة أم حكومية، يمكن ان تجعل الانسان المؤمن غافلاً عن ذكر الله سبحانه، وهذا النور الباطني هو الاقدر من غيره على حمل الانسان على رعاية العقل والنظام والعدل والامانة.

نسأل الله تعالى ببركة القرآن الكريم ان ينصر الاسلام وجنده.

وان يجعل قلوبنا خزائن معارفه واسرار أوليائه.

وان يحشر شهداء الاسلام مع الانبياء والاولياء.

وان يمد قائد الثورة الاسلامية والامة الاسلامية في ظل ولي العصر ارواحنا فداه.

وان ينشر رحمته على المعلمين والمؤلفين للعلوم الالهية.

والحمد لله رب العالمين

***

(١) من لا يحضره الفقيه.

معرفة الله

مقدمة:

تعتبر العقيدة هي الأساس والبداية والمنطلق للفكر والسلوك والحضارة عند الإنسان بل كل أنواع النشاط الفكري، فهذه العقيدة هي أساس الشريعة والقانون والنظام والأخلاق. ولهذا قالوا: عقيدة إلهية ينبثق عنها نظام كامل للحياة.

فأساس بناء الإسلام هو العقيدة. وتمتاز العقيدة الإسلامية بأنها عقيدة تقوم على أساس الدليل والبرهان العقلي والاستدلال العلمي وترفض الخرافة والتقليد الأعمى.

الفطرة

إن الإحساس بوجود الخالق سبحانه من أهم الأمور الفطرية المغروسة في أعماق الإنسان. ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ فالإنسان يستطيع أن يتعرّف على وجود الله بسهولة ولا يحتاج إلى بذل جهد كبير في هذا السبيل، بل تكفيه المعلومات البديهية الموجودة لديه بالفطرة. فهذا الإعرابي عندما سئل كيف عرفت ربك؟ لم يجد صعوبة في القول «البعرة تدل على البعير وأثر الأقدام يدل على المسير أفسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج أفلا يدلان على اللطيف الخبير».

والقلب أيضاً له تعلّق وارتباط فطري بالله عز وجل. وهذا موجود عند كل إنسان. ولكن الغارقين في عالم المادة والشهوات والمتعلقين بظواهر هذا العالم من زينة وتفاخر لا يلتفتون إلى ذلك. يروى أن شخصاً أتى الإمام الصادق عليه

السلام وقال له: يا ابن رسول الله دلّني على الله ما هو، فقد أكثر عليّ المجادلون وحيّروني. فقال له الإمام (ع): يا عبد الله هل ركبت سفينة قط؟ قال: نعم. قال (ع): فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟ قال: نعم. قال (ع): فهل تعلّق قلبك هنالك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلّصك من ورطتك؟ قال: نعم قال الصادق عليه السلام: فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجي وعلى الإغاثة حيث لا مغيث.

الحاجة الى الاستدلال

إلا أن هذه الفطرة الصافية يتهدّدها التزييف دائماً. ويطغى في غالب الأحيان عليها صدأ حب الدنيا وضباب الشهوات والنزوات الحيوانية، فتحجب الإنسان عن مشاهدة أوضح الواضحات وتمنعه من الشعور والإحساس السليم. ولذلك لا بد من مساعدة العقل للفطرة وتعميق التصديق العقلي بوجود الله الخالق العظيم وتوحيده وصفاته عن طريق الحجة والبرهان.

فالفطرة لها دور الاستعداد والتوجيه، والعقل له دور الإقناع والحجة والدليل. من هنا، فالإيمان بالله تعالى والاعتقاد بوجوده لا يصح فيها التقليد. فالقرآن يذم الذين يقلّدون آباؤهم تقليداً أعمى، ويخاطب العقل بالتكريم ويطالب الإنسان بالتفكر في خلق السموات والأرض. ﴿الذي يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض، ربّنا ما خلق هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار﴾.

الاستدلال على وجود الله تعالى

إن الأدلة على وجود الخالق جلّ وعلا لا تُحصى كثرة. فكل شيء في هذا الوجود اية ناطقة بوجود الله تعالى ووحدانيته ودليل شاهد على عظمته، يدرك ذلك كل ذي وجدان سليم وعقل قويم. وقد صدق القائل: الأدلة على وجود الخالق بعدد أنفاس الخلائق.

وهذا العالم القائم على أساس من التنظم البديع والتخطيط المتقن لهو من أعظم الدلائل والآيات.

إن كل شيء في هذا الوجود منسّق بدقة متناهية ومنظّم وموزون بشكل تعجز عن فهمه العقول والألباب. وكل شيء موجود في المكان المناسب. إن العالم يمثل كتاباً أبدعه كاتب مطلع، كل جملة فيه وكل كلمة تحتوي على سلسلة من المعاني والمطالب والمقاصد العظيمة. والنظم الذي استعمل في الكلمات والجمل قائم على

أساس دقة خاصة ويشير إلى هدف معين.

إن كل إنسان يمكنه أن يستنبط الأنظمة الحكيمة والآثار والعلامات الدالّة على تدبير عالم الخلق بوضوح. إلاّ أن المطّلع على العلوم الطبيعية فانه سوف يدرك من النظام والدقة والروعة أكثر بما يتناسب مع معرفته بأسرار هذا الكون العظيم. فشكل الأرض القريب من كونه كروياً، ودوران الأرض حول نفسها وحول الشمس وبُعد الأرض عن الشمس وبُعد القمر عن الأرض والجاذبية بين الأجسام الكبيرة وطبقات الغلاف الجوي وخلق الذكر والأنثى والتناسب بين الكائنات الحية من نبات وحيوان وإنسان... إلى كثير من الآيات العظيمة الخاضعة لقوانين غاية في الدقة والتنظيم والحكمة.

إن أي إنسان يعلم أن الأثر يدل على المؤثر. وكذلك أن صفات وخصائص ذلك الأثر تدل إلى حد كبير على صفات المؤثر. لذلك فإن مطالعة كتاب هذا الكون الكبير يدلنا على وجود الخالق العليم والصانع الحكيم والمدبّر القدير وهو الله سبحانه وتعالى.

إثبات الصفات الالهية

لما كان الله تعالى هو الخالق لهذا الكون. فان كل ما في هذا الكون من كمال وعظمة فهو من الله تعالى. فعظمة هذا الكون تحتاج إلى قدرة عظيمة، والتنظيم الهائل فيه لا يمكن أن يأتي إلا من حكيم وعليم ومدبر. وهكذا فان ملاحظة أية صفة كمالية موجودة في هذا الكون تدلنا على أن الخالق لهذا الكون متصف بهذه الصفة الكمالية. فالله سبحانه وتعالى متصف بجميع صفات الجلال والجمال فهو الكمال المطلق الذي لا نقص فيه.

وفي الواقع. فإن علماء الإسلام يقسمون الصفات الإلهية إلى قسمين:

١ ـ الصفات الثبوتية: وهي صفات الجمال والكمال التي ينبغي أن نَصف الله تعالى بها والتي يجب أن تكون ثابتة له. كالعلم والقدرة والحياة والإرادة وغيرها. فإذا قلنا ان الله عليم وقدير وحيّ ومريد و... فهذه من الصفات الثبوتية.

٢ ـ الصفات السلبية: وهي صفات الجلال التي تنزه الله سبحانه وتعالى عمّا لا يليق به. وتسلب عنه النقص والاحتياج. فإذا قلنا ان الله تعالى لا شريك له. ولا جسم له، ولا ولد له وهو ليس بظالم وهو ليس بجاهل.. فهذه من الصفات السلبية.

التوحيد

الإيمان بالله الواحد الأحد هو المحور والقاعدة الأساسية في عقيدة الإنسان

المسلم وسلوكه وتفكيره. فالتوحيد عقيدة ومنهج حياة، وليس هو فكرة مجرّدة عن المعنى والتأثير العملي في سلوك الإنسان.

فالمسلم يؤمن بأن خالق الكون والإنسان والحياة هو واحد أحد متصف بكل صفات الكمال ومنزه عن النقص، ليس كمثله شيء وهو على كل شيء قدير. هذا الإيمان يربّي في نفس الإنسان العبودية لله وحده ويحرّره من عبودية الطواغيت وسيطرة الظالمين ويوجّهه نحو الخير والكمال المطلق. فإذا كان الخالق عادلاً ورحيماً وكريماً وحكيماً وصادقاً و... الخ فان المؤمن لا بد أن يبني سلوكه وحياته بوحي من إيمانه بهذه الصفات العليا وعلى هديها.

وعقيدة التوحيد لا تكون عقيدة نقية صادقة خالية من الشوائب والانحرافات إلا إذا آمن المسلم بتوحيد الله في كل شيء ومن كل جهه. فلا بد أن يؤمن بالتوحيد في الذات، والتوحيد في الصفات والتوحيد في الخالقية والتوحيد في الربوبية والتدبير والتوحيد في العبادة. وسوف يأتي الحديث عن كل واحدة منها على حدة.

أدلة التوحيد:

وهي كثيرة تقتصر على ثلاثة منها:

أ ـ وحدة النظام:

إن العالم أجمع من الذرة إلى المجرة محكوم لنظام واحد موحّد يسري في كل أجزائه. ولا يشذ عنه شيء. فلو أخذنا مثلاً قانون الجاذبية، فنرى أنه متساو في كل أجزاء العالم. ففي الذرة مثلاً تدور الالكترونيات في مسارات محدّدة تحت تأثير جاذبية النواة وتتشابه هذه العملية تشابهاً مذهلاً مع ما يحدث في مدارات منظمة تحت تأثير جاذبيتها. وهكذا، يثبت العلم أن هذا القانون سار في كل أجزاء الكون على الإطلاق ولا يتخلف أبداً.

إن هذا النظام الموحّد الحاكم على جميع أجزاء العالم لهو خير دليل على أنّ الخالق والمنظّم واحد لا اكثر. ولنِعْمَ ما قيل.

وفي كل شيء له آية
تدل على أنه واحد

ورد عن الصادق عليه السلام: «فلمّا رأينا الخلق منتظماً والفلك جارياً واختلاف الليل والنهار والشمس والقمر دلّ صحة الأمر والتدبير وائتلاف الأمر على أنّ المدبر واحد».

ب ـ بطلان تعدد الآلهة:

إن البراهين العقلية تنفي أيضاً أي احتمال لوجود آلهة متعددة. وهذا ما

يؤكده القرآن بدوره ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كلُّ إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عمّا يصفون﴾ المؤمنون ـ ٩١.

وتوضيح هذا الأمر؛ أن من أهم صفات الإله الذي يتوجه إليه الإنسان أن يكون الإله هو الخالق الذي يكون بيده وجود المخلوق. فالإله ينظّم للمخلوق جميع شؤونه ويوفر له كل حاجاته ولا يتركه يحتاج إلى غيره أو إلى مخلوقات غيره.

فلو فرضنا أن للعالم عدداً من الآلهة، كما إذا كان للإنسان إله. وللحيوان إله آخر. وللنبات إله ثالث وهكذا: فلو كان الأمر كذلك، وجب أن يذهب كل إله بما خلق أي أن يستقل كل إله بمخلوقاته. فإله الإنسان يجب أن يوفر للانسان كل حاجاته. ولا يجعله يحتاج إلى إله غيره أو إلى مخلوقات إله غيره. فلو كان للإنسان إله وللنبات إله وجب أن لا يحتاج الانسان الى النبات. ولكن الانسان والنبات يحتاجان إلى بعضهما. إذاً ليس لهما سوى إله واحد. وهكذا، فلو نظرنا في الكون بأسره نجد أن كل شيء محتاج إلى شيء آخر بحيث أن هذا العالم كلّه مترابط فيما بينه. ومن هنا يُعلم أن من بيده شؤون هذا العالم وتدبيره إنما هو إله واحد لا شريك له.

ج ـ توافق الأنبياء

من الأدلة التي تُعتمد في إثبات التوحيد أيضاً توافق الأنبياء على الدعوة إلى الإله الواحد.

وتوضيح هذا البرهان أنه من خلال معرفتنا بالإله ـ كما ينبغي أن يكون الإله ـ فهو الذي بيده يكون تدبير جميع شؤون المخلوق من رزق وتأييد وهداية وغير ذلك. فالإله يجب أن يهدي مخلوقاته إلى سعادتهم وكمالهم وإذا لم يؤمّن لهم الهداية فليس مستحقاً للألوهية ولا لائقاً بها.

ولما كان عقل الإنسان لا يكفي لهدايته إلى السعادة والكمال فلذلك لا بد أن تأتيه الهداية من قبل الإله الذي أوجده وينظّم له حياته. ومن هنا ضرورة أن يكون للإله رسل وأنبياء. لو استقرأنا التاريخ وجدنا أن الرسل جميعاً كانت تدعو للإله الواحد. ولذلك فلا إله سوى إله واحد.

في وصيته لابنه الحسن عليه السلام، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «واعلم يا بني أنه لو كان لربّك شريك لأتتك رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت أفعاله وصفاته. ولكنه إله واحد كما وصف نفسه لا يضادّه في ملكه أحد».

التوحيد في القرآن

يعتبر التوحيد المسألة الأكثر أهمية والشعار الأول الذي أكّد عليه القرآن. حيث أن شعار التوحيد «لا إله إلا الله» ورد أكثر من ستمائة مرة بعُبارات شتى وهذه بعض الأمثلة:

- وما لكم من إله غيره (الأعراف ٦٥)
- وإلهكم إله واحد (البقرة ١٦٣)
- إن إلهكم لواحد (الصافات ٤)
- لا إله إلا أنت (الأنبياء ٨٧)
- لا إله إلا أنا (النحل ٢)

وهناك الآيات الكثيرة أيضاً تؤكد على التوحيد في الخالقية والتدبير والعبادة والطاعة. فالقرآن يولي أهمية كبرى يؤكّد على أن الخلق والتدبير من شؤونه ومختصاته ولا يشاركه فيها أحد.

يقول تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾

وفي أول آية نزلت على الرسول الأعظم (ص) إشارة واضحة إلى التوحيد الخالقي والربوبي ﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم . علّم الإنسان ما لم يعلم﴾ العلق

في سورة لقمان الآية ١٠ ـ ١١ ﴿خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه . بل الظالمون في ضلال مبين﴾

وفي سورة يوسف الآية: ﴿أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾ وفي سورة الأعراف الآية ٥٤: ﴿إن ربكم الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾.

وفي سورة الحج/ ٣٧: ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . وما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز﴾.

إن هذه الآيات الكريمة وكثير من أمثالها ـ لهي أصدق تعبير عن أن الخالق لكل ما في الكون واحد والمدبر لشؤون هذا العالم بأسره هو واحد لا شريك له وهو الله تعالى الذي يرجع إليه الأمر والخلق كله.

أقسام التوحيد

لخص علماء الإسلام البحوث المرتبطة بالتوحيد في أربعة أقسام: التوحيد في الذات. التوحيد في الصفات، التوحيد في الأفعال، والتوحيد في العبادة.

١ ـ التوحيد في الذات:

وهو أن الله تعالى واحد لا شريك ولا وعديل ولا يتصوَّر له شبيه ولا مثيل. وهذا مفاد البراهين التي ذُكرت أعلاه في إثبات التوحيد.

وهناك درجة أرقى أيضاً وهي أن ذاته المقدسة بسيطة لا تتركّب من أجزاء متعددة كما هو الحال في الأجسام والمادة. فالجسم المادي يتألف من أجزاء متعددة (الماء مثلاً من أوكسجين وهيدروجين) ولذلك فهو محتاج إلى أجزائه. أما الله تعالى فلا يحتاج إلى شيء مطلقاً ولذلك فهو لا يتركب من أجزاء وإلا كان محتاجاً لأجزائه.

ولذلك يعبّرون أن الذات الإلهية المقدسة بسيطة غير مركبة من أجزاء.

٢ ـ التوحيد في الصفات

والمراد منه أن الله تعالى وإن كان متصفاً بصفات عديدة كالعلم والقدرة والحياة، إلا أنّ هذا التعدد إنما هو باعتبار المفهوم الذهني وليس باعتبار الوجود والواقع. بمعنى أن كل واحدة من هذه الصفات عين الأخرى وليس شيئاً آخر غير الأخرى. وهي (الصفات) أجمع عين الذات وليست شيئاً آخر غير الذات المقدّسة.

فعلمُ الله مثلاً عين ذاته، ذاته كلّها علم في حين ذاته كلّها عين القدرة، لا أنّ حقيقة العلم في الذات الإلهية شيء وحقيقة القدرة شيء آخر بل كل واحدة منهما عين الأخرى، بل إن كلتاهما عين الذات المقدسة وليس شيئاً آخر.

وبالجملة، فصفات الله تعالى عين ذاته وليست شيئاً مغايراً لذاته المقدّسة.

٣ ـ التوحيد في الأفعال

نحن نعلم أنّ في عالم الطبيعة سلسلة من العلل والأسباب الطبيعية لها آثار خاصة. فالشمس علة للضياء والإشراق والنار علة للإحراق والسيف علة للقطع. والإنسان علة لحركاته وأفعاله المختلفة.

التوحيد الأفعالي هو أن نعتقد بأن هذه الآثار مخلوقة هي أيضاً لله تعالى وبإذنه وإرادته تحدث تماماً كما هو حال عللها بمعنى أن الله تعالى خلق العلل المذكورة وهو الذي منحها تلك الآثار لا أنها توجد آثارها بالاستقلال عن الله تعالى فهو تعالى خلق الشمس وأعطاها خاصيّة الإشراق. وخلق النار وأعطاها خاصة الإحراق وخلق السيف وأعطاه خاصية القطع. وخلق الله الإنسان وأعطاه

القدرة على الأفعال المختلفة. إلا أنه ميّز الإنسان عن سائر العلل بأن وهبه حرية الاختيار. فالانسان ليس لديه قدرة استقلالية على أفعاله، نعم هو يستطيع أن يختار بينها.

ولذلك، فان الموجودات كما أنها قائمة بالله تعالى غير مستقلة في وجودها وذواتها، فانها أيضاً غير مستقلة في آثارها وأفعالها. فهو تعالى لا شريك له في ذاته ولا شريك له في الفاعلية أيضاً فكل سبب وكل فاعل قائم به سبحانه ولا حول ولا قوة إلا به. وهذا ما نذكره دائماً في صلاتنا اليومية «بحول الله وقوّته أقوم وأقعد».

٤ ـ التوحيد في العبادة

العبادة مظهر من مظاهر التعبير عن العبودية الصادقة لله وحده. والعبادة إسم لكل ما يصدر من الإنسان من أقوال وأفعال ومشاعر وأحاسيس تعبّر عن عبودية الإنسان لله وحده ويقصد بها التقرّب منه.

لذا يجب ضبط حياة الانسان وتنظيمها على أساس أوامر الله ونواهيه لتتمّ العبادة له وحده ويتأكّد توحيده. إن الشرائع والرسالات الإلهية كلها جاءت لتحرّر الإنسان من عبوديته للطواغيت وسيطرة الشهوات والأهواء على إرادته ونفسه. فالانسان لا يكون موحداً حقاً إلا إذا أخلص العبودية لله وحده ولم يخضع لغير الله في التشريع والقانون والنظام، وأخلص الطاعة له في الأمر والنهي والعمل. فلا يكون موحداً من آمن بقانون وضعي غير القانون الإلهي والتزم حكماً غير حكم الله تعالى «من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» المائدة/ ٢٤.

سئل الإمام الصادق عليه السلام عن معنى قوله تعالى: «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله» التوبة/ ٣١ فقال: ﴿والله ما عبدوهم ولكن أحلّوا لهم حراماً وحرّموا لهم حلالاً فاتبعوهم﴾ فاعتبروا بذلك أرباباً. من هنا كان الأمر الالهي أن نردّد دائماً في صلاتنا اليومية ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾

كمال التوحيد

بعد أن يتحقق الإنسان من أصل التوحيد يصل الدور إلى المراتب الكمالية التي يجب عليه تحصيلها من خلال مجاهدة النفس والهوى. ومن أهم هذه المراتب: التوحيد في الاستعانة، التوحيد في الدعاء، التوحيد في الخوف والرجاء والتوحيد في المحبة.

التوحيد في الاستعانة

بعد ما آمن الإنسان أن كل الموجودات

ـ سوى الله تعالى ـ هي فقيرة ومحتاجة إلى الرب المتعال ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد﴾. فلا بد أن يطلب العون منه وحده دون سواه. فالفقير إذا أراد الغنى والثروة لا يتوجه إلى الفقراء المعدمين المحتاجين من أمثاله بل يتوجه نحو الغني القادر. ولا غني سواه تعالى وباقي الموجودات فقراء.

ولذلك يجب على الإنسان في جميع أحواله أن لا يتوكل إلا على الله تعالى ولا يتوجه إلا إليه لأن ما هو سواه لا يغنيه شيئاً أبداً ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعملون﴾ العنكبوت / ٤١.

ومن الآيات التي تفيد التوحيد في التوكل والاستعانة ما يلي:

١ ـ ﴿وتوكل على الحيّ الذي لا يموت﴾ الفرقان/ ٥٨

٢ ـ ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره . . .﴾ الطلاق /٣

٣ ـ ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ الفاتحة

التوحيد في الدعاء

وهو من مراتب الاستعانة والتوكل. يقول تعالى: ﴿فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ الجن /١٨.

وفي مورد آخر يؤكد أن دعاء الإنسان لغير الله تعالى لا جدوى منه ولا يسمن ولا يغني من حاجة أبداً. ﴿إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم . . .﴾ الأعراف ١٩٤.

وإذا ترك الإنسان الدعاء لربه لشعوره بالاستغناء عنه تعالى فهذا من موارد التكبر عن عبادة الله تعالى. ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾.

التوحيد في الخوف والرجاء

إن الخوف والخشية من الله وحده، ولا ينبغي أن يُخاف من غيره. ولماذا يُخشى غيره ما دام الله تعالى هو المؤثر الحقيقي في الوجود وكل ما عداه لا قدرة له على شيء ولا ينفع ولا يضر شيئاً. فهو مالك الضر والنفع لا سواه. ولذلك ينهى الله سبحانه عن الخوف من المشركين ﴿فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين﴾ آل عمران / ٧٥.

ولن يصل الانسان إلى مقام تبليغ الرسالة حتى يخاف الله تعالى ولا يخاف من غيره مطلقاً. ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً﴾ الأحزاب /٣٩.

وفي مقابل الخوف، يكون الأمل والرجاء بالله وحده أيضاً. ومن يرجو شيئاً من غير الله تعالى مثله كحامل الماء وباسط كفيه ليبلغ فاه وما هو ببالغه، أو كطالب سراب يجري خلفه حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً فلا ماء يدركه ولا ظمأ يطفيه. فالرجاء من الله فقط ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم﴾ البقرة / ٢١٨.

التوحيد في المحبة

الحب أصالة لله فهو المحبوب الحقيقي بالاستقلال. لأن الكمال الذاتي والجمال الذاتي عند الله ومن الله. وفي الحديث «إن الله جميل» أما حب الآخرين فهو بالتبع. ويعبر الرسول (ص) عن ذلك بقوله: أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله».

إن الأئمة عليهم السلام أكّدوا هذا المعنى في أكثر من مورد. إن مضامين الأدعية المأثورة عنهم زاخرة بالحديث عن حب الله تعالى والشوق إليه. فعن أبي عبد الله الحسين (ع) في دعاء عرفة: «إلهي.. ماذا وجد من فقدك وماذا فقد من وجدك..»

.. عميت عين لا تراك عليها رقيباً وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً.

إلهي.. اطلبني برحمتك حتى أصل إليك واجذبني بمنك حتى أقبل عليك وعن زين العابدين عليه السلام في دعاء السحر:

«إلهي لو قرنتني بالأصفاد... ما خرج حبُّك من قلبي.. أنا لا أنسى أياديك عندي وسترك علي في دار الدنيا...

... اللهم املأ قلبي حباً لك وخشية منك... وشوقاً إليك...» وكذلك في الأدعية الكثيرة مثل دعاء كميل والمناجاة الشعبانية والمناجاة الستة عشرة وغير ذلك

إن التأكيد على حب الله يظهر لنا أهمية الحب في جعل الانسان عبداً حقيقياً مطيعاً لله تعالى. فحب الله تعالى له الدور الرئيسي في الوصول إلى العبودية الحقة لله تعالى ولا يمكن لمن يحب الله المتعالى حباً حقيقياً أن يعصيه أو يخالف له أمراً. فعن الصادق عليه السلام قال: «ما أحب الله من عصاه».

ونظّم بعضهم هذا المعنى شعراً لطيفاً فقال:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه
هذا لعمري في الفعال بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيع

مهمة حراسة الحدود العقائدية

١ـ طرق نفوذ العدو
٢ـ ضرورة معرفة النفس ومعرفة العدو.
٣ـ وجوب الاستعداد لحراسة الحدود العقائدية.

١ ـ طرق نفوذ العدو:

يمكن أن يتعرض أي بلد أو شعب إلى هجوم العدو عن طريقين: عن طريق الحدود الجغرافية، وعن طريق الحدود العقائدية والفكرية، ويجب في كلتا الحالتين الدفاع والحراسة، ويلزم الاستعداد، وتتطلب المعرفة الكاملة. فالهجمات العسكرية واختراق الحدود الجغرافية من الأساليب القديمة للاستعمار، حيث كان المستعمرون يتوسلون سابقاً بهذا الاسلوب للنفوذ إلى البلدان واحتلالها وفرض سلطتهم عليها، وتوسيع حدودهم. هذه الأمور كلها كانت في مقدمة برامج المستعمرين.

أما في العصر الحالي، وبعد ظهور الاستعمار الحديث، فقد تبدلت اساليب الاستعمار وراح يسعى إلى عدم مهاجمة البلدان عن طريق احتلال الاراضي عسكرياً، وان كان يبادر إلى ذلك عند الضرورة... (مثلما نرى ذلك في الاستعمار الأحمر الروسي سابقاً، حيث أن الروس يفتخرون أمام الاستعمار الغربي بأنهم استطاعوا، وبدون الاستعانة باسلوب الاستعمار القديم، أن يفرضوا إرادتهم وهيمنتهم على عدد من الدول مثل يوغسلافيا والبانيا وكوبا و... إلاّ أنهم عندما عجزوا عن فرض هذه الهيمنة على افغانستان وفق أساليب الاستعمار الجديد، لجؤوا إلى استخدام اساليب الاستعمار القديم، فحركوا ماكينتهم العسكرية نحو افغانستان وعلى عكس الشعارات التي كانوا يطلقونها).

على أي حال، فإنّ المستعمرين يسعون في الوقت الراهن إلى تجنب النفوذ إلى الدول عن طريق الحدود الجغرافية، وان يكون نفوذهم اليها عن طريق احتلال العقول والقلوب، والسيطرة على المراكز الثقافية ورجال الفكر، ونزع اسلحة الشعوب وعدم فسح المجال لها حتى برفع رأسها. وان الغرب والشرق متفقان على هذا الاسلوب الاستعماري الجديد، وذلك للمشاكل التي يحملها معهُ الإستعمار القديم من قبيل:

١ ـ الخسائر الكبيرة في الأفراد التي تحرك الرأي العام على المستعمرين .

٢ ـ القواعد العسكرية المهمة والمعقدة ذات النفقات الكبيرة .

٣ ـ الحروب الطويلة التي قد تؤدي إلى هزيمة المستعمرين .

٤ ـ النفقات العسكرية الهائلة .

٥ ـ تدمير الكثير من الأسلحة الضرورية .

٦ ـ التعبئة والمقاومة الشديدة للدول المعتدى عليها (المقاومة الشعبية)

ومئات وآلاف المشاكل الأخرى التي لا يمكن التنبؤ بها في الحروب العسكرية .

ولهذا فإن الاستعمار الجديد يسعى إلى التعامل مع القلوب والعقول، يسعى إلى تحريك الشعوب لكي تحفر بنفسها قبر هلاكها، لكي تضمن الشعوب بنفسها مصالحه السياسية والاقتصادية، وان تفتخر بهذه الذلة والعمالة.

فهو يسعى لأن تقيّد الشعوب يديها ورجليها بيديها، ليستطيع أن يمارس اعماله الاستعمارية بدون أية صعوبة، ويحاولون الأ يتعرضوا إلى أي ضرر في هذا النوع من الاستعمار، وكما قال علي (ع): «أكبر الأعداء أخفاهم كيدة» .

والاستعمار الجديد ليس بالأمر البسيط، وإنما يتحرك وفق اساليب وطرق خاصة مثل:

١ ـ تعكير الأجواء ونشر الشائعات وبث الاعلام المسموم .

٢ ـ النفوذ إلى المراكز الثقافية والجامعات والمدارس . . . الخ .

٣ ـ ايجاد الاحزاب السياسية التي تنمو كالفطريات ، وتوجيهها .

٤ ـ العمل على إضعاف الدين والاصول العقائدية .

٥ ـ نشر الفساد وترويج القضايا اللااخلاقية ، والتشجيع على تعاطي الخمر والمخدرات .

٦ ـ القضاء على ثقافة الأمم ونشر الثقافة الاستعمارية .

٧ ـ العمل على ازواء علماء الدين والمفكرين الواعين أو قتلهم .

٨ ـ طرح مسألة المثقف والثقافة .

٩ ـ ايجاد المسالك الكاذبة باسم «المدارس الفكرية» لإضلال الناس الجهلاء .

١٠ ـ نشر افكار المدارس المادية والسياسة المنافية للاخلاق لإفساد الشعوب من الداخل ومنح الحكام الفرصة لتوجيه عملائهم وفق الخطة التي تضمن مصالحهم وتهيء للنفوذ إلى تلك البلدان عن طريق الحدود العقائدية للشعوب .

٢ ـ ضرورة معرفة النفس و معرفة العدو :

لمواجهة الاستعمار الجديد لا سيما الثقافي، يجب معرفة الطاقات الكفوءة والعناصر الجيدة وتشخيصها. وللتهيؤ والاستعداد علينا أن نعرف ماذا نملك، وماذا يجب أن نمتلك، وما هي استعداداتنا الخلاقة؟ واين توجد؟ ومن هو الشخص أو الجماعة التي تتواجد فيها تلك الاستعدادات؟ وما هي القيم التي يقوم عليها عملنا وجهادنا وقيامنا؟ وإلى أيّ حد تتمتع قوات حزب الله والعناصر المتديّنة بالمعرفة والفاعلية؟ ومن هم الاشخاص الذين لهم القابلية على حراسة الحدود الجغرافية، ومن هم ذوو القدرة والكفاءة على حراسة الحدود العقائدية والدفاع عنها؟ وما هي المواقع والمجالات التي يمكن أن يعمل فيها علماء الدين، وما هو مقدار العمل الذي يجب أن يؤدوه و... الخ.

إن كل هذه الأمور يجب أن تكون في المرحلة الأولى من معرفة الذات لكي نستطيع أن نكسب العناصر الكفوءة وان نبنيها، ومن ثم نزجّها في العمل.

بعد ذلك تبرز الحاجة إلى ضرورة معرفة الأعداء، فمن هم اعداؤنا وما هي احزابهم وتنظيماتهم؟ وما هو حجم القوة التي لديهم؟ ومن أين ومتى يستطيعون العمل ضد ثورتنا وعقيدتنا؟ ومن هو العميل منهم ومن هو الجاهل والمغفّل؟ وما هي الضربات التي يمكن أن نتعرض لها عند مواجهتهم؟ وما هو الاستعداد الذي نحن عليه، وما هي امكاناتنا الدفاعية؟ ولو كان عدونا لا يتميز بالعقيدة فكيف يجب أن نواجهه؟ ولو هاجمنا بالقلم والبيان وشهر علينا سيف العلم والعقيدة، فماذا نعمل؟ إن كل هذه الأمور مهمة جداً في الدفاع عن انجازات الثورة ومعطياتها، ولقد كان لعدم الاهتمام

بهذه الأمور دور كبير في الهزائم المرة التي وقعت في الفترات الزمنية السابقة، ولم يُعتبر منها، ولم يُعمل على بناء الذات.

٣ـ ضرورة الاستعداد وحراسة الحدود العقائدية

قلنا ان الاستعمار يمكنه أن يشنّ هجماته عن طريقين: عن طريق الحدود الجغرافية وعن طريق الحدود العقائدية، فلندقق الآن في هذه المقارنة:

أولاً: لو استولى العدو على الحدود الجغرافية فإنّه لن يستولي على الأمة والبلاد، وذلك لأن العقول الواعية والعقيدة المحركة سيعملان على تعبئة الناس، وبالتالي على استعادة الحدود والأرض المغتصبة من يد العدو. لكن لو استطاع الاستعمار أن يغزو الحدود الفكرية والعقائدية وان يستولي عليها وينشر فيها افكاره، فإنه لا يمكن عندئذ الدفاع عن الحدود الجغرافية ذلك لأن مثل هذا الدفاع يحتاج إلى فكر وعقيدة وايمان، وعقول سليمة نقية.

ثانياً: ليس النفوذ من خلال الحدود الجغرافية سهلاً لاحتياجه إلى تعبئة الجيوش والحرب والمنازلة. أما النفوذ من خلال الحدود العقائدية فليس بالأمر الصعب خاصة إذا كان اكثر الناس ممن يتميّز بالجهل واللامبالاة.

ثالثاً: ان تدريب القوات واعدادها لمواجهة العدو والدفاع عن الحدود الجغرافية يحتاج إلى شهر على الأقل أو إلى اسبوع في الحالات السريعة جداً، وانّ الدفاع عن الحدود العقائدية يحتاج إلى فترة تدريب طويلة نسبياً لكي يكون الفرد المسلم متعرفاً على الإسلام وعلى حدوده وقوانينه، وما يميّز الخصائص التي يتميز بها الاسلام عن غيره من العقائد الغربية، وليلمّ بابعاده المختلفة ويتمكن، ومن خلال السياسة والادارة اللازمة والمعرفة والتفقه الكامل في الدين، تفهيم الناس وتبيان الحقائق لهم وارشادهم. ﴿ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾ التوبة/١٢٢.

فترون كيف أن حراسة حدود الفكر ليست بالأمر السهل، وقد أدرك المستعمرون وهم ينتهجون الاستعمار الجديد، هذه الحقيقة.

رابعاً: ان المقارنة بين الامكانات الموجودة لحراسة الحدود الجغرافية والامكانات الموجودة لحراسة الحدود العقائدية بُعد آخر من ابعاد هذه القضية وهي تكشف لنا عن خطورة الموقف، ويجب على المؤمنين المخلصين أن يتحركوا في هذا المجال بجدية أكبر،

وذلك لأننا في الوقت الراهن ومن اجل حراسة الحدود الجغرافية نملك من القوات المدربة ما يكفي لأداء هذه المهمة (من قبيل قوات الدرك والشرطة واللجان الثورية وحرس الثورة الاسلامية وجيش الجمهورية الاسلامية بقواته البرية والجوية والبحرية. كما أنّ هناك رصيداً من القوات الشعبية يقدر بعشرين مليون شخص، كلهم على أهبة الاستعداد للانخراط في صفوف المقاتلين متى ما اقتضت الضرورة ذلك، ومتى ما أصدر الإمام قائد الثورة الإسلامية فتوى الجهاد والدفاع). ولكن ما هي المؤسسات والجامعات والمعاهد التي اخذت على عاتقها مهمة حراسة الحدود العقائدية والفكرية للأمة والتصدي لحملات العقائد والمدارس والافكار الأخرى؟

هل هناك غير الحوزات العلمية والعلماء الواعين من الشيعة؟ هل هناك مكان آخر؟ لهذا فأنتم ترون كيف أننا لا نملك الحارس المدافع الواعي بالقدر الكافي، ونحن نحسّ بالحاجة إلى عالم الدين والاستاذ الملتزم في كل مكان. فما اكثر المراكز والمؤسسات المهمة التي هي بحاجة إلى العالم والفقيه العارف، وانّ الحوزة، وفي هذه الظروف الحالية، غير قادرة على تلبية تلك الحاجات. إن كلاً من الجامعات، والمدارس، والمراكز الثقافية والدوائر السياسية العقائدية، والحوزات العلمية في المدن، والمؤسسات الثورية، والمراكز الصناعية والاقتصادية، والمدن المختلفة للبلاد، والمحافظات البعيدة، ومراكز القضاء وغيرها ترسل وباستمرار إلى الحوزة العلمية في قم طالبةً منها ارسال العلماء الأكفاء، ولكن الحوزة غير قادرة على اجابة كل هذه الطلبات ولا زال التبليغ للاسلام في البلاد دون المستوى المطلوب.

إن الحدود العقائدية تتميز بالأهمية البالغة، وهي من الأمور المصيرية، ويمكن أن تتعرض للخطر عندما يكون الجهل فاشياً بين الناس. ونحن نحتاج لعشرات السنين من العمل من أجل ايجاد القوة الفكرية والعقائدية الكافية للدفاع عن حدود العقيدة. ونحن لا نملك في الوقت الراهن العدد اللازم من الأفراد المدرّبين المتعلمين في هذا المجال طبعاً نحن لا ننكر وجود الطاقات العقائدية الملتزمة في الجامعات والمدارس والمراكز التعليمية، ونحن نعتقد بوجود العلماء الأكفاء الذين يدافعون عن قلعة الاسلام والقرآن ليل نهار، ولكن ليسوا بالمقدار الذي يكفي، وذلك لأن عملاء الاستعمار والمرتبطين بعجلة المصالح الغربية قد جعلوا اغتيال الشخصيات الاسلامية والمفكرين الاسلاميين على رأس برامجهم. ان الاحزاب السياسية غير الاسلامية في البلاد، ورغم الاختلاف

والصراع الناشب بينها، إلاّ انها قد اتفقت جميعاً على القضاء على علماء الدين ممن يتميزون بالعلم والوعي، واغتيال ضباط جيش الدفاع عن حدود العقيدة والفكر، ابتداءً من الفيلسوف والمفكر الكبير مرتضى المطهري وانتهاءً بالطلبة وعلماء المدين، فعالم الدين عقبة كؤود في طريقهم، لأنه حارس حدود الفكر، وكاشف زيف افكار المنافقين التي التقطوها من هنا وهناك.

وفي صدر الإسلام وبعد استشهاد الإمام علي (ع)، كان اغتيال واعدام علماء الشيعة واتباع الإمام من الفقهاء والمؤمنين في رأس قائمة سلاطين آل أمية، وظلوا يعملون وفق هذا المخطط الجهنمي حتى زمان غيبة الإمام المهدي (ع). وكما أن العمل بمخطط عزل الفقهاء وازوائهم قد استمر في زمان الغيبة، استمر عملاء الاستعمار في قتل علماء الشيعة ولكن دون أن يتراجع هؤلاء العلماء والفقهاء الكبار خطوة واحدة، ودون أن يتنازلوا عن مبادئهم، وظلّوا سائرين في طريق الشهادة والحرية، فكم هم أولئك العلماء الذين عاشوا في السجون والزنزانات والتبعيد، وكم هم أولئك الذين عانقت اجسادهم الطاهرة مقاصل الظلمة؟! لقد حملوا على اكتافهم اعواد مشانقهم وهم يؤدون رسالتهم الالهية، لكي يبقى خط أهل البيت الأحمر خالداً نقياً سليماً من الانحراف.

لكن، ولخلو كثير من المواقع العقائدية للمسلمين من الحراس والمدافعين أو لقلة هؤلاء، استطاعت الافكار الهدامة أن تنفذ منها وان تنمو وتتجذر، ومن ثم لتصبغ المراكز الثقافية بصبغة الاستعمار الغربي، حيث ترعرعت الكثير من الافكار والمنظمات والجماعات السياسية في احضان هذه الأمة، ورامت تهديد أصالة الاسلام ونقاءه.

فلو كان شعبنا يتمتع بالعلم والوعي الكافيين، ولو كان هناك العدد اللازم من حراس العقيدة والفكر، فانه ما كان بامكان حفنة من العملاء أن تؤثر على هذه الاعداد الغفيرة من الجيل الجديد، وأن توجهها وفق ما تريد وتحركها ضد الثورة والاسلام.

البرامج الضرورية

يجب في البداية الاهتمام بالبرامج طويلة الأمد مثل:

١ ـ إعادة بناء الحوزات وتنظيمها.

٢ ـ تقوية بنائها وتنظيمها.

٣ ـ تعبئة الشباب المتعلم الحريص لتلقي الدروس الدينية في الحوزات العلمية.

٤ ـ دراسة وضع التبليغ الاسلامي في المدن والقرى.

٥ ـ تدوين النصوص التعليمية الغنية لرفع المستوى الثقافي.

كما أن هناك برامج سريعة وقصيرة الأمد مثل:

١ ـ تعليم المدرسين والمعلمين وتربيتهم لتدريس الدروس الدينية.

٢ ـ تقوية المراكز السياسية العقائدية وإعادة بنائها.

٣ ـ ايجاد الدروس العقائدية في جميع مراكز التعليم والمؤسسات الثورية للبلاد.

٤ ـ تنظيم الاعلام وإغناؤه خارج البلاد.

٥ ـ إقامة المعسكرات الصيفية المقرونة بالبرامج الاسلامية المفيدة.

٦ ـ إقامة الحلقات والدورات الثقافية لتعليم اصول العقيدة.

٧ ـ تقوية الدروس الدينية في المدارس والمراكز الثقافية.

وهناك أمور كثيرة اخرى يجب على مسؤولي الجمهورية الاسلامية الالتفات اليها.

وبالنتيجة فإن على شعبنا الثائر ان يتسلّح بالسلاح العسكري، وان يتسلّح بالسلاح العقائدي، حيث قال إمامنا (قده):

«احملوا باحدى يديكم القرآن وباليد الثانية السلاح وهاجموا بهما اعداء الاسلام الحاقدين».

يجب أن يكون إلى جانب السلاح العقيدة، وان يكون مع العقيدة، سلاح: ﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ الانفال / ٦٠.

فلو شهرت السيوف من اجل العقيدة فانها ستصنع النصر، وان العقيدة التي يُدافع عنها ويجاهد في سبيلها لا يمكن أن تنزوي أو يصيبها الخمول.

●●●

التشيع والإسلام

العلامة الشهيد آية الله
السيد محمد باقر الصدر

جرى بعض الباحثين المحدثين، على دراسة التشيع بوصفه ظاهرة طارئة في المجتمع الإسلامي، والنظر الى القطاع الشيعي في جسم الأمة الاسلامية بوصفه قطاعاً تكون على مر الزمن، نتيجة لأحداث وتطورات اجتماعية معينة أدّت الى تكوين فكري ومذهبي خاص بجزء من ذلك الجسم الكبير ثم اتسع الجزء بالتدريج.

وهؤلاء الباحثون بعد أن يفترضوا ذلك، يختلفون في تلك الأحداث والتطورات التي أدت الى نشوء تلك الظاهرة وولادة ذلك الجزء بالتدريج.

فمنهم من يفترض أن عبد الله بن سبأ ونشاطه السياسي المزعوم هو الأساس لذلك التكتل الشيعي.

ومنهم من يرد ظاهرة التشيع الى عهد خلافة الإمام علي عليه الصلاة والسلام، وما هيأه ذلك العهد من مقام سياسي واجتماعي على مسرح الأحداث. ومنهم من يزعم أن ظهور الشيعة يكمن في أحداث متأخرة عن ذلك في التسلسل التاريخي للمجتمع الإسلامي.

والذي دعا فيما أظن كثيراً من هؤلاء الباحثين الى هذا الافتراض والاعتقاد: بأن

التشيع ظاهرة طارئة في المجتمع الاسلامي، هو أن الشيعة لم يكونوا يمثلون في صدر الإسلام الا جزءاً ضئيلاً من مجموع الأمة الاسلامية.

فقد أوحت هذه الحقيقة شعوراً بأن اللاتشيع كان هو القاعدة في المجتمع الاسلامي، وان التشيع هو الاستثناء والظاهرة الطارئة التي يجب اكتشاف أسبابها من خلال تطورات المعارضة للوضع السائد.

ولكن اتخاذ الكثرة العددية والضآلة النسبية، أساساً لتمييز القاعدة والاستثناء أو الأصل والانشقاق ليس شيئاً منطقياً؛ فمن الخطأ اعطاء الاسلام اللاشيعي صفة الأصالة على أساس الكثرة العددية، واعطاء الاسلام الشيعي صفة الظاهرة الطارئة ومفهوم الانشقاق، فان هذا لا يتفق مع طبيعة الانقسامات العقائدية.

اننا كثيراً ما نلاحظ انقساماً عقائدياً في اطار رسالة واحدة تقوم على أساس بعض الاختلاف في تحديد معالم تلك الرسالة وقد لا يكون القسمان العقائديان متكافئين من الناحية العددية.

ولكنهما متكافئان في أصالتهما ومعبران بدرجة واحدة عن الرسالة المختلف بشأنها.ولا يجوز بحال من الأحوال أن نبني تصوراتنا عن الانقسام العقائدي داخل اطار الرسالة الإسلامية الى شيعة وغيرهم على الناحية العددية.

كما لا يجوز أيضاً ان نقرن ولادة الأطروحة الشيعية في اطار الرسالة الإسلامية بولادة كلمة «الشيعة» او «التشيع» كمصطلح واسم خاص لفرقة محددة من المسلمين؛ لأن ولادة الأسماء والمصطلحات شيء ونشوء المحتوى أو الأطروحة شيء آخر.

فاذا كنا لا نجد كلمة «الشيعة» في اللغة السائدة في حياة الرسول (ص) أو بعد وفاته، فلا يعني هذا أن الأطروحة والاتجاه الشيعي لم تكن موجودة.

فبهذه الروح يجب أن نعالج قضية التشيع والشيعة، ونجيب على السؤالين التاليين:

كيف ولد التشيع؟

وكيف وجد الشيعة؟.

كيف ولد التشيع

أما فيما يتعلق بالسؤال الأول (كيف ولد التشيع؟) فنحن نستطيع أن نعتبر التشيع نتيجة طبيعية للاسلام، وممثلاً لأطروحة كان من المفروض للدعوة الاسلامية أن تتوصل إليها حفاظاً على نموها السليم.

ويمكننا أن نستنتج هذه الأطروحة استنتاجاً منطقياً من الدعوة التي كان الرسول الأعظم (ص) يتزعم قيادتها بحكم طبيعة تكوينها والظروف التي عاشتها، فان النبي كان يباشر قيادة دعوة انقلابية، ويمارس عملية تغيير شاملة للمجتمع وأعرافه وانظمته ومفاهيمه. ولم يكن الطريق قصير أمام عملية التغيير هذه، بل كان طريقاً طويلاً وممتداً بامتداد الفواصل المعنوية الضخمة بين الجاهلية والاسلام، فكان على الدعوة التي يمارسها النبي ان تبدأ بانسان الجاهلية فتنشؤه انشاءاً جديداً، وتجعل منه الانسان الاسلامي الذي يحمل النور الجديد وتجتث منه كل جذور الجاهلية ورواسبها.

وقد خطا القائد الأعظم (ص) بعملية التغيير خطوات مدهشة في برهة قصيرة، وكان على عملية التغيير أن تواصل طريقها الطويل حتى بعد وفاة النبي (ص) الذي أدرك منذ فترة قبل وفاته أن أجله قد دنا، وأعلن ذلك بوضوح في «حجة الوداع» ولم يفاجئه الموت مفاجئة.

وهذا يعني أنه كان يملك فرصة كافية للتفكير في مستقبل الدعوة بعده، حتى اذا لم ندخل في الموقف عامل الاتصال الغيبي والرعاية الالهية للرسالة عن طريق الوحي. وفي هذا الضوء يمكننا أن نلاحظ ان النبي (ص) كان أمامه ثلاثة طرق بالإمكان انتهاجها تجاه مستقبل الدعوة.

الطريق الأول

ان يقف من مستقبل الدعوة موقفاً سلبياً، ويكتفي بممارسة دوره في قيادة الدعوة وتوجيهها فترة حياته ويتركها في مستقبلها للظروف والصدف.

وهذه السلبية لا يمكن افتراضها في النبي (ص)، لأنها انما تنشأ من احد أمرين كلاهما لا ينطبقان عليه:

(الأمر الأول) الاعتقاد بأن هذه السلبية والاهمال لا تؤثر على مستقبل الدعوة، وان الأمة التي سوف يخلف لها الدعوة قادرة على التكيُّف بالشكل الذي يحمي الدعوة ويضمن عدم الانحراف.

وهذا الاعتقاد لا مبرر له من الواقع اطلاقاً، بل ان طبيعة الأشياء كانت تدل على خلافه، لأن الدعوة بحكم كونها عملاً تغييرياً انقلابياً في بدايته، يستهدف

بناء أمة واستئصال كل الجذور الجاهلية منها، تتعرض لأكبر الأخطار اذا خلت الساحة من قائدها دون أي تخطيط، فهنالك الأخطار التي تنبع عن طبيعة مواجهة الفراغ دون أي تخطيط سابق، وعن الضرورة الآنية لاتخاذ موقف مرتجل في ظل الصدمة العظيمة بفقد النبي. فان الرسول اذا ترك الساحة دون تخطيط لمصير الدعوة فسوف تواجه الأمة ولأول مرة مسؤولية التصرف بدون قائدها تجاه أخطر مشاكل الدعوة، وهي لا تملك أي مفهوم مسبق بهذا الصدد، وسوف يتطلب منها الموقف تصرفاً سريعاً آنياً بالرغم من خطورة المشكلة لأن الفراغ لا يمكن أن يستمر، وسوف يكون هذا التصرف السريع في لحظة الصدمة التي تمنى بها الأمة، وهي تشعر بفقدها لقائدها الكبير. هذه الصدمة التي تزعزع بطبيعتها سير التفكير وتبعث على الاضطراب، حتى أنها جعلت صحابياً معروفاً يعلن بفعل الصدمة ان النبي (ص) لم يمت ولن يموت.

وهناك الأخطار التي تنجم عن عدم النضج الرسالي بدرجة النبي (ص) وموضوعية التصرف الذي سوف يقع، وانسجامه مع الاطار الرسالي للدعوة وتغلبه على التناقضات الكامنة التي كانت ولا تزال تعيش في زوايا نفوس المسلمين على أساس الانقسام الى: مهاجرين وأنصار، أو قريش وسائر العرب، أو مكة والمدينة.

وهناك الأخطار التي تنشأ لوجود القطاع المستتر بالاسلام والذي كان يكيد له في حياة النبي (ص) باستمرار، وهو القطاع الذي كان يسميه القرآن «بالمنافقين».

ان التشيع هو نتيجة طبيعية للاسلام ويمثل الاطروحة التي كان من المفترض أن تتوصل إليها الدعوة الاسلامية

واذا أضفنا إليهم عدداً كبيراً ممن أسلم بعد الفتح استسلاماً للأمر الواقع لا انفتاحاً على الحقيقة، نستطيع أن نقدر الخطر الذي يمكن لهذه العناصر أن تولده، وهي تجد فجأة فرصة لنشاط واسع في فراغ كبير مع خلو الساحة من رعاية القائد.

فلم تكن اذن خطورة الموقف بعد وفاة النبي (ص) شيئاً يمكن أن يخفى على أي قائد مارس العمل العقائدي فضلاً عن

خاتم الأنبياء.

وإذا كان ابو بكر لم يشأ ان يترك الساحة دون أن يتدخل تدخلاً ايجابياً في ضمان مستقبل الحكم بحجة الاحتياط للأمر..

واذا كان الناس قد هرعوا الى عمر

حين ضرب قائلين «يا امير المؤمنين لو عهدت عهداً»[1]، خوفاً من الفراغ الذي يخلفه الخليفة، بالرغم من التركز السياسي والاجتماعي الذي كانت الدعوة قد بلغته بعد عقد من وفاة الرسول (ص)...

(١) تاريخ الطبري: ٥ / ٢٦.

واذا كان عمر قد أوصى الى ستة تجاوباً مع شعور الآخرين بالخطر...

واذا كان عمر يدرك بعمق خطورة الموقف في يوم السقيفة وما كان بالامكان ان تؤدي إليه خلافة ابي بكر بشكلها المرتجل من مضاعفات، اذ يقول «ان بيعة ابي بكر كانت فلتة غير أن الله وقى شرها»[1]...

واذا كان ابو بكر نفسه يعتذر عن تسرُّعه الى قبول الحكم وتحمل المسؤولية الكبيرة بأنه شعر بخطورة الموقف وضرورة الاقدام السريع على حلها اذ يقول: وقد عوتب على السلطة «ان رسول الله قبض والناس حديثو عهد بالجاهلية فخشيت أن يفتتنوا وان أصحابي حملونيها»[2]...

اذا كان كل ذلك صحيحاً، فمن البديهي أيضاً أن يكون رائد الدعوة ونبيها أكثر شعوراً بخطر السلبية، واكبر ادراكاً واعمق فهماً لطبيعة الموقف ومتطلبات العمل التغييري الذي يمارسه في أمة حديثة عهد بالجاهلية على حد تعبير ابي بكر.

(الأمر الثاني) الذي يمكن ان يفسر سلبية القائد تجاه مستقبل الدعوة

(١) تاريخ الطبري: ٣ / ٢٠.

(٢) شرح النهج لابن ابي حديد: ٦ / ٤٢.

ومصيرها بعد وفاته، انه بالرغم من شعوره بخطر هذه السلبية لا يحاول تحصين الدعوة ضد ذلك الخطر، لأنه ينظر الى الدعوة نظرة مصلحية، فلا يهمه الا أن يحافظ عليها ما دام حياً ليستفيد منها ويستمتع بمكاسبها، ولا يعني بحماية مستقبلها بعد وفاته.

وهذا التفسير لا يمكن أن يصدق على النبي (ص)، حتى اذا لم نلاحظ بوصفه نبياً ومرتبطاً بالله سبحانه وتعالى في كل ما يرتبط بالرسالة، وافترضناه قائداً رسالياً كقادة الرساليين لا يملك نظيراً للقائد الرسول في اخلاصه للدعوة وتفانيه فيها وتضحيته من أجلها الى آخر لحظة من حياته، وكل تاريخه يبرهن على ذلك. وقد كان (ص) على فراش الموت وقد ثقل مرضه لخوضها، فكان يقول: «جهّزوا جيش اسامة، وأنفذوا جيش أسامة، أرسلوا بعث أسامة» ويكرر ذلك ويغمى عليه بين الحين والحين[1].

فان اهتمام الرسول (ص) بقضيته على قضايا الدعوة العسكرية يبلغ الى هذه الدرجة وهو يجود بنفسه على فراش الموت ولا يمنعه علمه بأنه سيموت قبل أن يقطف ثمار تلك المعركة عن تبينه لها؛ وان يكون همه الشاغل وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة... فكيف يمكن أن نتصور ان النبي (ص) لا يعيش هموم مستقبل الدعوة ولا يخطط لسلامتها بعد وفاته من الأخطار المترقبة.

(١) تاريخ الكامل لابن الاثير وغيره.

وأخيراً، فان في سلوك الرسول في مرضه الأخير رقماً واحداً يكفي لنفي الطريق الأول.

وللتدليل على أن القائد الأعظم كان أبعد ما يكون عن فرضية الموقف السلبي تجاه مستقبل الدعوة وعدم الشعور بالخطر أو عدم الاهتمام بشأنه، وهذا الرقم اجمعت صحاح المسلمين جميعاً سنة وشيعة على نقله، وهو أن الرسول لما حضرته الوفاة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال: «ايتوني بالكتف والدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً»[1].

فان هذه المحاولة من القائد الكريم المتفق على نقلها وصحتها؛ تدل بكل وضوح على انه كان يفكر في أخطار المستقبل، ويدرك بعمق ضرورة التخطيط لتحصين الأمة من الانحراف وحماية الدعوة من التمييع والأنهيار، فليس من الممكن افتراض الموقف السلبي بحال من

(١) مسند احمد: ١ / ٣٠٠، وصحيح مسلم: ج٢ في آخر الوصايا وصحيح البخاري: ج١ كتاب الصلح.

الأحوال.

الطريق الثاني

أن يخطط الرسول القائد (ص) لمستقبل الدعوة بعد وفاته ويتخذ موقفاً ايجابياً، فيجعل القيمومة على الدعوة وقيادة التجربة للأمة الممثلة على أساس نظام الشورى في جيلها العقائدي الأول، الذي يضم مجموع المهاجرين والأنصار،

إن مفهوم التشيع يعني الاتباع كما قال تعالى: «وان من شيعته لابراهيم»

فهذا الجيل الممثل للأمة هو الذي سيكون قاعدة للحكم ومحور قيادة الدعوة في خط نموها.

وهنا يلاحظ ان طبيعة الأشياء والوضع العام الثابت عن الرسول (ص) والدعوة والدعاة، يدحض هذه الفرضية وينفي أن يكون النبي قد انتهج هذا الطريق واتجه الى ربط المهاجرين والانصار على أساس نظام الشورى.

وفيما يلي بعض النقاط التي توضح ذلك:

١ ـ لو كان النبي «ص» قد اتخذ من مستقبل الدعوة بعده موقفاً ايجابياً يستهدف وضع نظام الشورى موضع التطبيق بعد وفاته مباشرة واسناد زعامة الدعوة الى القيادة التي تنبثق عن هذا النظام، لكان من أبده الأشياء التي يتطلبها هذا الموقف الإيجابي أن يقوم الرسول القائد (ص) بعملية نوعية للأمة والدعاة على نظام الشورى وحدوده وتفاصيله واعطائه طابعاً دينياً مقدساً، واعداد المجتمع الاسلامي اعداداً فكرياً وروحياً لتقبل هذا النظام، وهو مجتمع نشأ من مجموعة من العشائر لم تكن قد عاشت قبل الاسلام وضعاً سياسياً على أساس الشورى، وانما كانت تعيش في الغالب وضع زعامات قبلية وعشائرية تتحكم فيها القوة والثروة وعامل الوراثة الى حد كبير.

ونستطيع بسهولة ان ندرك ان النبي (ص) لم يمارس عملية التوعية في نظام الشورى وتفاصيله التشريعية أو مفاهيمه الفكرية، لأن هذه العملية لو كانت قد انجزت لكان من الطبيعي أن تنعكس وتتجسد في الأحاديث المأثورة عن النبي (ص) أو في ذهنية الأمة، أو على أقل تقدير في ذهنية الجيل الطليعي منها الذي يضم المهاجرين والأنصار بوصفه هو

المكلف بتطبيق نظام الشورى، مع اننا لا نجد في الأحاديث عن النبي (ص) أي صورة تشريعية محددة لنظام الشورى.

وأما ذهنية الأمة أو ذهنية الجيل الطليعي منها، فلا نجد فيها أي ملامح أو انعكاسات محددة لتوعية من ذاك القبيل.

ونلاحظ بهذا الصدد للتأكد من ذلك، أن أبا بكر حينما اشتدت به العلة، عهد الى عمر بن الخطاب، فأمر عثمان ان يكتب عهده، فكتب:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله الى المؤمنين والمسلمين. سلام عليكم اني أحمد اليكم الله. أما بعد، فاني استعملت عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا وأطيعوا».

ودخل عليه عبد الرحمن بن عوف فقال: كيف أصبحت يا خليفة رسول الله؟ فقال: أصبحت مولياً وقد زدتموني على ما بي، ورأيتموني استعملت رجلاً منكم، وكلكم قد أصبح ورماً أنفه؛ وكلكم قد أصبح يطلبها لنفسه[1].

وواضح من هذا الاستخلاف وهذا الاستنكار للمعارضة ان الخليفة لم يكن يفكر بعقلية نظام الشورى وأنه كان يرى من حقه تعيين الخليفة، وأن هذا التعيين يفرض على المسلمين الطاعة، ولهذا أمرهم بالسمع والطاعة، فليس هو مجرد ترشيح أو تنبيه، بل هو إلزام ونصب.

ونلاحظ أيضاً أن عمر رأى هو الآخر أنّ من حقه فرض الخليفة على المسلمين، ففرضه في نطاق ستة أشخاص؛ وأوكل أمر التعيين الى الستة أنفسهم دون أن يجعل لسائر المسلمين أي دور حقيقي في الانتخاب.

ان عقلية نظام الشورى لم تتمثل في طريقة الاستخلاف التي انتهجها عمر، كما لم تتمثل في الطريقة التي سلكها الخليفة الأول، وقد قال عمر حين طلب منه الناس الاستخلاف: «لو أدركني أحد رجلين لجعلت هذا الأمر اليه لوثقت، به سالم مولى أبي حذيفة وأبي عبيدة الجراح، ولو كان سالم حياً ما جعلتها شورى[1].

وقال أبو بكر لعبد الرحمن بن عوف وهو يناجيه على فراش الموت: «وددت لو أني كنت سألت رسول الله (ص) لمن هذا الأمر فلا ينازعه أحد»[2].

وحينما تجمع أنصار السقيفة لتأمير سعد بن عبادة قال منهم قائل: «ان ابت مهاجرة قريش فقالوا: نحن المهاجرين

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٢٦ ـ ١٢٧.

(١) طبقات ابن سعد: ٣ / ٢٤٨.
(٢) تاريخ الطبري: ٤ / ٥٢.

ونحن عشيرته وأولياؤه، قالت طائفة منهم: اذاً نقول منا أمير ومنكم امير لن نرضى بدون هذا أبداً»[1].

وحينما خطب ابو بكر فيهم قال: «كنا معاشر المسلمين والمهاجرين أول الناس اسلاما؛ والناس لنا في ذلك تبع؛ ونحن عشيرة رسول الله واوسط العرب أنساباً».

وحينما اقترح الانصار أن تكون الخلافة دورية بين المهاجرين والانصار، رد

ان الاجواء السائدة كانت تحتم على النبي أن يعبىء المسلمين تعبئة رسالة وفكرية واسعة

ابو بكر قائلاً: ان رسول الله ص لما بعث عظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم، فخالفوه وشاقوه، وخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه، فهم أول من عبد الله في الأرض، وهم أولياؤه وعترته وأحق الناس بالأمر بعده، ولا ينازعهم فيه إلا ظالم.

وقال الحباب بن المنذر وهو يشجع الأنصار على التمسك: «املكوا عليكم ايديكم؛ انما الناس في فيئكم وظلكم، فان ابى هؤلاء فمنا امير ومنهم امير».

فرد عليه عمر قائلاً: هيهات، لا يجتمع سيفان في غمد، من ذا يخاصمنا في سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لاثم او متورط في هلكة»[1].

ان الطريقة التي مارسها الخليفة الأول والخليفة الثاني للاستخلاف، وعدم استنكار تلك الطريقة والروح العامة التي سادت على الجناحين المتنافسين من الجيل الطليعي «المهاجرين والأنصار» يوم السقيفة، والاتجاه الواضح الذي بدا لدى المهاجرين نحو تقرير مبدأ انحصار السلطة بهم وعدم مشاركة الأنصار في الحكم، والتأكيد على المبررات الوراثية التي تجعل من عشيرة النبي (ص) أولى العرب بميراثه، واستعداد كثير من الأنصار، لتقبل فكرة أميرين احدهما من الأنصار والآخر من المهاجرين، واعلان أبي بكر الذي فاز بالخلافة في ذلك اليوم عن أسفه لعدم السؤال من النبي «ص» عن صاحب الأمر بعده..

كل ذلك يوضح بدرجة لا تقبل الشك أن هذا الجيل الطليعي من الأمة الاسلامية بما فيه القطاع الذي تسلم الحكم

(١) تاريخ الطبري: ٤ / ٥٢.

(١) راجع في نصوص يوم السقيفة شرح النهج: ٦ / ٦ـ ٩.

بعد وفاة النبي لم يكن يفكر بذهنية الشورى، ولم يكن لديه فكرة محددة عن هذا النظام، فكيف يمكن أن نتصور ان النبي مارس عملية توعية على نظام الشورى تشريعياً وفكرياً، وأعد جيل المهاجرين والأنصار لتسلم قيادة الدعوة بعده على أساس هذا النظام؛ ثم لا نجد لدى هذا الجيل تطبيقاً واقعياً لهذا النظام أو مفهوماً محدداً عنه؟!!

كما اننا لا يمكن أن نتصور من ناحية أخرى، أنّ الرسول القائد (ص) وضع هذا النظام وحدده تشريعياً ومفهومياً، ثم لا يقوم بتوعية المسلمين عليه وتثقيفهم به...

٢ ـ ان النبي (ص)، لو كان قد قرر ان يجعل من الجيل الاسلامي الرائد الذي ضم المهاجرين والأنصار من صحابته قيماً على الدعوة بعده ومسؤولاً عن مواصلة عملية التغيير.

فهذا يحتم على الرسول القائد (ص) أن يعبىء هذا الجيل تعبأة رسالية وفكرية واسعة، يستطيع ان يمسك بالنظرية بعمق ويمارس التطبيق على ضوئها بوعي، ويضع للمشاكل التي تواجهها الدعوة باستمرار الحلول النابعة من الرسالة، خصوصاً اذا لاحظنا أن النبي (ص) كان الذي بشّر بسقوط كسرى وقيصر، يعلم بأن الدعوة مقبلة على فتوح عظيمة، وان الأمة الاسلامية سوف تنضم إليها في غد قريب شعوب جديدة ومساحة كبيرة وتواجه مسؤولية توعية تلك الشعور على الاسلام، وتحصين الأمة من أخطار هذا الانفتاح، وتطبيق أحكام الشريعة على الأرض المفتوحة وأهل الأرض.

وبالرغم من ان الجيل الرائد من المسلمين كان أنظف الأجيال التي توارثت الدعوة واكثرها استعداداً للتضحية، لا نجد فيه ملامح ذلك الاعداد الخاص للقيمومة على الدعوة، والتثقيف الواسع العميق على مفاهيمها، والأرقام التي تبرز هذا النفي كثيرة لا يمكن استيعابها في هذا المجال.

ويمكننا ان نلاحظ بهذا الصدد، ان مجموع ما نقله الصحابة من نصوص عن النبي (ص) في مجال التشريع لا يتجاوز بضع مئات من الأحاديث، بينما كان عدد الصحابة يناهز اثني عشر ألفاً على ما أحصته كتب التاريخ وكان النبي (ص) يعيش مع الآلاف من هؤلاء في بلد واحد وفي مسجد واحد صباحاً ومساءاً، فهل يمكن ان نجد في هذه الأرقام ملامح الاعداد الخاص؟

والمعروف عن الصحابة انهم كانوا يتحاشون من ابتداء النبي (ص) بالسؤال، حتى ان احدهم كان ينتظر فرصة مجيء

اعرابي من خارج المدينة يسأل ليسمع الجواب، وكانوا يرون ان من الترفع السؤال عن حكم قضايا لم تقع بعد.

ومن اجل ذلك قال عمر على المنبر: «احرج بالله على رجل سأل عما لم يكن، فان النبي قد بين ما هو كائن»[1].

وقال: «لا يحل لأحد ان يسأل عما لم يكن، ان الله قد قضى فيما هو كائن».

وجاء رجل يوماً الى ابن عمر يسأله عن شيء، فقال له ابن عمر: لا تسأل عما لم يكن، فأني سمعت عمر بن الخطاب يلعن من سأل عما لم يكن[2].

وسأل رجل أبيّ بن كعب عن مسألة، قال: يا بني أكان الذي سألتني عنه؟ قال: لا. قال: أما لا، فأجلني حتى يكون[3].

وقرأ عمر يوماً القرآن، فانتهى الى قوله تعالى «فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلباً وفاكهة وأباً»[4]. فقال: كل هذا عرفناه فما الأب؟ ثم قال: هذا لعمر الله هو التكلف، فما عليك ان لا تدري ما الأب، اتبعوا ما بين لكم هداه من الكتاب فاعملوا به، وما لم تعرفوه فكلوه الى ربه.

---

(١) سنن الدرامي: ١ / ٥٠.
(٢) نفس المصدر السابق والصفحة.
(٣) سنن الدرامي: ١ / ٥٠.
(٤) نفس المصدر السابق والصفحة.

وهكذا نلاحظ اتجاهاً لدى الصحابة الى العزوف عن السؤال الا في حدود المشاكل المحددة الواقعة. وهذا الاتجاه هو الذي أدى إلى ضآلة النصوص التشريعية التي نقلوها عن الرسول (ص) وهو الذي أدى بعد ذلك الإحتياج الى مصادر أخرى غير الكتاب والسنة، كالاستحسان والقياس وغيرهما من ألوان الاجتهاد التي يتمثل فيها العنصر الذاتي للمجتهد الأمر الذي أدى الى تسرب شخصية الانسان بذوقه وتصوراته الخاصة الى التشريع.

وهذا الاتجاه أبعد ما يكون عن عملية الإعداد الرسالي الخاص التي كانت تتطلب تثقيفاً واسعاً لذلك الجيل وتوعية له على حدود الشريعة للمشاكل التي سوف يواجهها عبر قيادته.

وقد أثبتت الأحداث بعد وفاة النبي (ص) أن جيل المهاجرين والأنصار، لم يكن يملك أي معلومات محددة عن كثير من المشاكل الكبيرة التي كانت من المفروض أن تواجهها الدعوة بعد النبي (ص) حتى ان مساحة هائلة من الأرض التي امتد اليها الفتح الاسلامي لم يكن لدى الخليفة والوسط الذي يسنده أي تصور محدد عن حكمها الشرعي، وعما اذا كانت تقسم بين المقاتلين أم تجعل وقفاً

على المسلمين عموماً. فهل يمكننا أن نتصور أن النبي (ص) يؤكد للمسلمين انهم سوف يفتحون أرض كسرى وقيصر ويجعل من جيل المهاجرين والأنصار القيم على الدعوة والمسؤول عن هذا الفتح ثم لا يخبره بالحكم الشرعي الذي يجب أن يطبق على تلك المساحة الهائلة من الدنيا التي سوف يمتد اليها الاسلام؟!

بل اننا نلاحظ اكثر من ذلك، ان الجيل المعاصر للرسول (ص) لم يكن يملك تصورات واضحة محددة حتى في مجال القضايا الدينية التي كان النبي يمارسها مئات المرات وعلى مرأى ومسمع من الصحابة.

ونذكر على سبيل المثال لذلك، الصلاة على الميت، فانها عبادة كان النبي (ص) قد مارسها علانية مئات المرات؛ وأداها في مشهد عام في المشيعين والمصلين، وبالرغم من ذلك يبدو أن الصحابة كانوا لا يجدون ضرورة لضبط صورة هذه العبادة ما دام النبي (ص) يؤديها وما داموا يتابعون فيها النبي فصلاً بعد فصل، ولهذا وقع الاختلاف بينهم بعد وفاة النبي في عدد التكبيرات في صلاة الميت.

فقد أخرج الطحاوي عن ابراهيم قال: قبض رسول الله والناس مختلفون في التكبير على الجنازة لا تشاء أن تسمع رجلاً يقول: سمعت رسول الله يكبر سبعاً، والآخر يقول: سمعت رسول الله يكبر خمساً، وآخر يقول: سمعت رسول الله يكبر أربعاً، فما اختلفوا في ذلك حتى قبض أبو بكر فلما ولى عمر رأى اختلاف

الناس في ذلك، شق عليه جداً؛ معاشر أصحاب رسول الله! متى تختلفون على الناس يختلفون من بعدكم، ومتى تجتمعون على أمر يجتمع الناس عليه، فانظروا ما تجتمعون عليه، فكأنما أيقظهم، فقالوا: نعم ما رأيت يا أمير المؤمنين[1].

وهكذا نجد ان الصحابة كانوا في حياة النبي (ص) يتكلون غالباً على شخص

(١) سنن الدارمي: ١ / ٥٦.

النبي (ص)، ولا يشعرون بضرورة الاستيعاب المباشر للأحكام والمفاهيم ما داموا في كنف النبي (ص).

وكل ما تقدم، يدل على أنّ التوعية التي مارسها النبي (ص) على المستوى العام في المهاجرين والأنصار لم تكن بالدرجة التي يتطلبها اعداد القيادة الواعية الفكرية والسياسية، لمستقبل الدعوة وعملية التغيير، وانما كانت توعية بالدرجة التي تبنى القاعدة الشعبية الواعية التي تلتف حول قيادة الدعوة في الحاضر والمستقبل.

وأي افتراض يتجه الى القول بأن النبي (ص) كان يخطط لإسناد قيادة التجربة والقيمومة على الدعوة بعده مباشرة الى جيل المهاجرين والأنصار، يحتوي ضمناً اتهام اكبر وأبصر قائد رسالي في تاريخ العمليات التغييرية، بعدم القدرة على التمييز بين الوعي المطلوب على مستوى قيادة الدعوة وامامتها الفكرية والسياسية.

٣ ـ ان الدعوة عملية تغيير ومنهج حياة جديد، وهي تكلف بناء أمة من جديد واقتلاع كل جذور الجاهلية ورواسبها من وجودها.

والأمة الاسلامية ـ ككل ـ لم تكن قد عاشت في ظل عملية التغيير هذه إلا عقداً واحداً من الزمن على اكثر تقدير، وهذا الزمن لا يكفي عادة في منطق الرسالات العقائدية والدعوات التغييرية لارتفاع الجيل الذي عاش في كنف الدعوة عشر سنوات فقط الى درجة من الوعي والموضوعية والتحرر من رواسب الماضي والاستيعاب لمعطيات الدعوة الجديدة، تؤهله للقيمومة على الرسالة وتحمل مسؤوليات الدعوة ومواصلة عملية التغيير بدون قائد.

بل ان منطق الرسالات العقائدية يفرض أن تمر الأمة بوصاية عقائدية فترة أطول في الزمن، تهيؤها للارتفاع الى مستوى تلك القيمومة.

وليس هذا شيئاً نستنتجه استنتاجاً فحسب، وإنما يعبر أيضاً عن الحقيقة التي برهنت عليها الأحداث بعد وفاة القائد الرسول (ص) وتجلت بعد نصف قرن أو أقل من خلال ممارسة جيل المهاجرين والأنصار لإمامة الدعوة والقيمومة عليها إذ لم يمض على هذه القيمومة ربع قرن حتى بدأت الخلافة الراشدة والتجربة الرسالية التي تولي جيل المهاجرين والأنصار قيادتها، تنهار تحت وقع الضربات الشديدة التي وجهها أعداء الإسلام القدامى، ولكن من داخل إطار التجربة الإسلامية لا من خارجها،

فاستطاعوا أن يتسللوا إلى مراكز النفوذ في التجربة بالتدريج، ويستغلوا القيادة غير الواعية، ثم صادروا بكل وقاحة وعنف تلك القيادة، وأجبروا الأمة وجيلها الطليعي الرائد على التنازل عن شخصيته وقيادته، وتحولت الزعامة الى ملك موروث يستهتر بالكرامات ويقتل الأبرياء ويبعثر الأموال ويعطل الحدود ويجمد الأحكام ويتلاعب بمقدرات الناس وأصبح الفيء والسواد بستاناً لقريش، والخلافة كرة يتلاعب بها صبيان بني أمية.

فواقع التجربة بعد النبي (ص) وما تمخض عنه بعد ربع قرن من نتائج يدعم الاستنتاج المتقدم الذي يؤكد أن إسناد القيادة والإمامة الفكرية والسياسية لجيل المهاجرين والأنصار عقب وفاة النبي (ص) مباشرة، إجراء مبكر وقبل وقته الطبيعي، ولهذا ليس من المعقول أن يكون النبي (ص) قد اتخذ إجراءً من هذا القبيل.

الطريق الثالث

وهو الطريق الوحيد الذي بقي منسجماً مع طبيعة الأشياء، ومعقولاً على ضوء ظروف الدعوة والدعاة وسلوك النبي (ص) هو أن يقف النبي من مستقبل الدعوة بعد وفاته موقفاً إيجابياً، فيختار بأمر من الله سبحانه وتعالى شخصاً يرشحه عمق وجوده في كيان الدعوة، فيعده إعداداً رسالياً وقيادياً خاصاً لتتمثل فيه المرجعية الفكرية والزعامة السياسية للتجربة، وليواصل بعده وبمساندة القاعدة الشعبية الواعية من المهاجرين والأنصار قيادة الأمة وبناءها عقائدياً، وتقويتها باستمرار نحو المستوى الذي يؤهلها لتحمل المسؤوليات القيادية.

ان منطق الرسالات العقائدية يفرض أن تمرّ الامة بوصاية عقائدية فترة أطول في الزمن

وهكذا نجد بأن هذا هو الطريق الوحيد الذي كان بالإمكان أن يضمن سلامة مستقبل الدعوة وصيانة التجربة من الانحراف في خط نموها، وهكذا كان.

وليس ما تواتر عن النبي (ص) من النصوص التي تدل على أنه كان يمارس اعداداً رسالياً وتثقيفاً عقائدياً خاصاً لبعض الدعاة على مستوى يهيئه للمرجعية الفكرية والسياسية، وأنه (ص) قد عهد إليه بمستقبل الدعوة وزعامة الأمة من بعده فكرياً وسياسياً، ليس هذا إلا

تعبيراً عن سلوك القائد الرسول للطريق الثالث الذي كانت تعرضه، وتدل عليه قبل ذلك طبيعة الأشياء كما عرفنا.

ولم يكن هذا الشخص الداعي المرشح للإعداد الرسالي والقيادي والمنصوب لتسلم مستقبل الدعوة وتزعمها فكرياً وسياساً، إلا علي بن ابي طالب عليه السلام الذي رشحه لذلك عمق وجوده في كيان الدعوة؛ وانه المسلم الأول والمجاهد الأول في سبيلها عبر كفاحه المرير ضد كل أعدائها، وعمق وجوده في حياة القائد الرسول (ص) وان ربيبه الذي فتح عينيه في حجره ونشأفي كنفه وتهيأت له من فرص التفاعل معه والاندماج بخطه ما لم يتوفر لأي انسان آخر.

والشواهد من حياة النبي (ص) والإمام عليه السلام، على ان النبي (ص) كان يعد الإمام إعداداً رسالياً خاصاً كثيرة جداً، فقد كان النبي (ص) يخصه بكثير من مفاهيم الدعوة وحقائقها، ويبدؤه بالعطاء الفكري والتشقيف، إذا استنفد الإمام أسئلته. ويختلي به الساعات الطوال في الليل والنهار، يفتح عينيه على مفاهيم الرسالة ومشاكل الطريق ومناهج العمل الى آخر يوم من حياته الشريفة.

روى الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي اسحاق، سألت القاسم بن العباس، كيف ورث علي رسول الله؟قال: لأنه كان أولنا به لحوقاً وأشدنا به لزوقاً.

وفي حلية الأولياء، عن ابن عباس انه يقول: كنا نتحدث ان النبي (ص) عهد الى علي سبعين عهداً لم يعهد الى غيره.

وروى النسائي عن ابن عباس عن علي، انه يقول: كانت لي منزلة من رسول الله (ص) لم تكن لأحد من الخلائق، كنت أدق على نبي الله كل ليلة، فإن كان يصلي سبح فدخلت، وان لم يكن يصلي أذن لي فدخلت.

وروي ايضاً عن الامام عليه السلام، قول: كان لي مع النبي (ص) مدخلان مدخل بالليل، ومدخل بالنهار.

وروي النسائي عن الامام ايضاً أنه كان يقول: كنت إذا سألت رسول الله (ص) أعطيت، واذا سكت ابتدائي. ورواه الحاكم في المستدرك ايضاً، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

وروى النسائي عن ام سلمة أنها كانت تقول: والذي تحلف به أم سلمة انه أقرب الناس عهداً برسول الله (ص) علي عليه السلام. قالت: لما كانت غداة قضى رسول الله فأرسل الى رسول الله واظنه كان بعثه في حاجة، فجعل يقول: جاء علي؟ ثلاث مرات، فجاء قبل طلوع

الشمس، فلما أن جاء عرفنا ان اليه حاجة، فخرجنا من البيت، وكنا عند رسول الله (ص) يومئذ في بيت عائشة، وكنت في آخر من خرج من البيت، ثم جلست من وراء الباب، فكنت أدناهم الى الباب، فأكب عليه علي، فكان آخر الناس به عهداً فجعل يساره ويناجيه.

وقال امير المؤمنين عليه السلام في خطبته القاصعة الشهيرة وهو يصف ارتباطه الفريد بالرسول القائد وعناية النبي «ص» باعداده وتربيته: «وقد علمتم موضعي من رسول الله والقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولد، يضمني الى صدره ويكنفني في فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل؛ وقد كنت أتبعه اتباع الفصيل لأثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاورني كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله (ص) وخديجة وأنا ثالثهما؛ أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة».

ان هذه الشواهد وشواهد أخرى كثيرة، تقدم لنا صورة عن ذلك الإعداد الرسالي الذي كان النبي (ص) يمارسه في سبيل توعية الإمام على المستوى القيادي للدعوة، كما أن في حياة الإمام علي عليه السلام بعد وفاة القائد الرسول (ص) أرقاماً كثيرة جداً تكشف عن ذلك الاعداد العقائدي الخاص للإمام علي من قبل النبي، بما تعكسه من آثار ذلك الاعداد الخاص ونتائجه. فقد كان الامام هو المفزع والمرجع لحل أي مشكلة يستعصي حلها على القيادة الحاكمة وقتئذ، ولا نعرف في تاريخ التجربة الاسلامية على عهد الخلفاء الأربعة، واقعة واحدة رجع فيها الامام الى غيره لكي يتعرف على رأي الإسلام وطريقة علاجه للموقف، بينما في التاريخ عشرات الوقائع التي أحست القيادة الاسلامية الحاكمة فيها بضرورة الرجوع

الى الامـام بالرغم من تحـفظاتهـا في الموضوع.

واذا كـانت الشـواهد كثيـرة على ان النبي (ص) كان يعد الامام اعداداً خاصاً لمواصلة قيادة الدعوة من بعده، فالشواهد على اعلان الرسول القائد على تخطيطه هذا واسناد الزعامة لا تقل عنها كثرة، كما نلاحظ ذلك في «حـديث الدار» و «حـديث الثـقلين» و «حـديث المنزلة» و

وجد التشيع في إطار الدعوة الاسلامية متمثلاً في الاطروحة النبوية

«حديث الغدير» و «عشرات النصوص النبوية الأخرى».

وهكذا وجد التشيع في اطار الدعوة الاسلامية متمثلاً في الأطروحة النبوية التي وضعـهـا النبي (ص) بأمـر من الله للحفاظ على مستقبل الدعوة.

وهكذا وجد التشيع لا كظاهرة طارئة على مسـرح الأحـداث، بل كنتـيـجـة ضرورية لطبيعة تكون الدعوة وحاجاتها وظروفها الأصلية التي كانت تفرض على الإسلام أن يلد التشيع.

وبمعنى آخر كانت تفرض على القائد الأول للتجـربة أن يعد للتجـربة قـائدها الثاني الذي تواصل على يده ويد خلفائه نموها الثوري، وتقترب نحو إكتمال هدفها التغييري في اجتثاث كل رواسب الماضي الجاهلي وجذوره وبناء أمة جـديرة على مستوى متطلبات الدعوة ومسؤولياتها.

كيف وجد الشيعة

عرفنا الآن كيف ولد التشيع، أما كيف وجد الشيعة ونشأ الانقسام على أساس ذلك في الأمة؟

فهذا ما سنجيب عليه الآن:

اننا إذا تتبعنا المرحلة الأولى من حياة الأمة الاسلامية في عصر النبي (ص) نجد بأن اتجاهين رئيسيين مختلفين قد رافقا نشوء الأمة وبداية التجربة الاسلامية منذ السنوات الأولى، وكانا يعيشان معاً داخل إطار الأمـة الوليـدة التي انشـأها الرسـول القـائد، وقـد أدى هـذا الاخـتـلاف بين الاتجاهين الى انقسام عقائدي عقيب وفاة الرسـول (ص) مـبـاشـرة، شطر الأمـة الاسلامية الى شطرين قدر لأحدهما أن يحكم، فاستطاع أن يمتد ويستوعب أكثرية المسلمين، بينما أقصي الشطر الآخـر عن الحكم وقـدر له أن يمارس وجوده كأقلية معارضة ضمن الإطار الاسلامي العام،

وكانت هذه الأقلية هي (الشيعة).

والاتجاهان الرئيسيان اللذان رافقا نشوء الأمة الاسلامية في حياة النبي (ص) منذ البدء هما:

أولاً ـ الاتجاه الذي يؤمن بالتعبد بالدين وتحكيمه والتسليم المطلق للنص الديني في كل جوانب الحياة.

وثانياً ـ الاتجاه الذي لا يرى ان إيمانه بالدين يتطلب منه التعبد إلا في نطاق خاص من العبادات والغيبيات، ويؤمن بإمكانية الاجتهاد، وجواز التصرف على أساسه بالتغيير والتعديل في النص الديني وفقاً للمصالح في غير ذلك النطاق من مجالات الحياة.

وبالرغم من أن الصحابة بوصفهم الطليعة المؤمنة والمستنيرة كانوا أفضل وأوسع بذرة لنشأة رسالية، حتى ان تاريخ الانسان لم يشهد جيلاً عقائدياً أروع وأطهر وأنبل من الجيل الذي انشأه الرسول القائد...

بالرغم من ذلك، من الضروري التسليم بوجود اتجاه واسع منذ كان النبي (ص) على قيد الحياة، يميل الى تقديم الاجتهاد في تقدير المصلحة واستنتاجها من الظروف على التعبد بحرفية النص الديني، كما كان هناك اتجاه آخر يؤمن بتحكيم الدين والتسليم له والتعبد بكل نصوصه في جميع جوانب الحياة.

وقد يكون من عوامل انتشار الاتجاه الثاني (الاجتهادي) في صفوف المسلمين أنه يتفق مع ميل الانسان بطبيعته الى التصرف وفقاً لمصلحة يدركها ويقدرها، بدلاً عن التصرف وفقاً لقرار لا يفهم مغزاه.

وقد قدر لهذا الاتجاه ممثلون جريئون من كبار الصحابة؛ من قبيل عمر بن الخطاب الذي ناقش الرسول (ص) واجتهد في مواضع عديدة خلافاً للنص، إيماناً منه بجواز ذلك ما دام يرى أنه لم يخطىء المصلحة في اجتهاده.

وبهذا الصدد يمكن أن نلاحظ، موقفه من صلح «الحديبية» واحتجاجه على هذا الصلح، وموقفه من الأذان وتصرفه فيه باسقاط (حي على خير العمل)؛ وموقفه من النبي (ص) حين شرع متعة الحج... الى غير ذلك من مواقفه الاجتهادية.

وقد انعكس كلا الاتجاهين في مجلس الرسول (ص) في آخر يوم من أيام حياته؛ فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس، قال: «لما حضر رسول الله (ص) الوفاة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبي:

هلم اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده.

فقال عمر: ان النبي (ص) قد غلب عليه

الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبي كتاباً لن تضلوا بعده؛ ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي قال لهم: قوموا.

وهذه الواقعة وحدها كافية للتدليل على عمق الاتجاهين ومدى التناقض والصراع بينهما.

ان تاريخ الانسان لم يشهد جيلاً عقائدياً أروع وأطهر وأنبل من الجيل الذي أنشأه الرسول (ص)

ويمكن أن نضيف اليها ـ لتصوير عمق الاتجاه ورسوخه ـ ما حصل من نزاع وخلاف بين الصحابة حول تأمير «أسامة بن زيد» على الجيش، بالرغم من النص النبوي الصريح على ذلك، حتى خرج الرسول (ص) وهو مريض، وخطب الناس وقال: «يا أيها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم من تأمير أسامة، ولئن طعنتم في تأمير أبيه من قبل، وايم الله انه كان لخليقا بالإمارة، وان ابنه من بعده لخليق بها».

وهذان الاتجاهان اللذان بدأ الصراع بينهما في حياة النبي (ص) قد انعكسا على موقف المسلمين من أطروحة زعامة الامام للدعوة بعد النبي.

فالممثلون للاتجاه التعبدي وجدوا في النص النبوي على هذه الأطروحة سبباً ملزماً لقبولها دون توقف أو تعديل، وأما الاتجاه الثاني فقد رأى أنه بامكانه أن يتحرر من الصيغة المطروحة من قبل النبي (ص) اذا أدى اجتهاده الى صيغة أخرى أكثر انسجاماً في تصوره مع الظروف.

وهكذا نرى أن الشيعة ولدوا منذ وفاة الرسول (ص) مباشرة، متمثلين في المسلمين الذي خضعوا عملياً لأطروحة زعامة الإمام علي (ع) وقيادته التي فرض النبي الابتداء بتنفيذها من حين وفاته مباشرة.

وقد تجسّد الاتجاه الشيعي منذ اللحظة الأولى في إنكار ما اتجهت اليه السقيفة من تجميد لأطروحة زعامة الإمام علي (ع) وإسناد السلطة إلى غيره.

ذكر الطبرسي في الاحتجاج عن أبان بن تغلب، قال: قلت لجعفر بن محمد الصادق (ع): جعلت فداك هل كان أحد في أصحاب رسول الله أنكر على أبي بكر فعله؟ قال: نعم كان الذي أنكر عليه اثني عشر رجلاً من المهاجرين: خالد بن

سعيد بن ابي العاص، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وبريدة الأسلمي، ومن الأنصار: أبو الهيثم بن التيهان، وعثمان بن حنيف، خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وأبي بن كعب وأبو أيوب الأنصاري.

هذه خطوط عامة عن تفسير التسيع بوصفه ظاهرة طبيعية في إطار الدعوة الإسلامية؛ وتفسير ظهور الشيعة كإستجابة لتلك الظاهرة الطبيعية.

***

وأوّد أن أشير قبل ختام الحديث الى نقطة، واعتبر توضيحها على درجة كبيرة من الأهمية، فان بعض الباحثين يحاول التمييز بين نحوين من التشيع: أحدهما التشيع الروحي والآخر التشيع السياسي ويعتقد أن التشيع الروحي أقدم عهداً من التشيع السياسي، وأن أئمة الشيعة الإمامية في أبناء الحسين عليه السلام قد اعتزلوا بعد مذبحة كربلاء السياسة وانصرفوا الى الارشاد والعبادة والانقطاع عن الدنيا.

والحقيقة ان التشيّع لم يكن في يوم من الأيام منذ ولادته مجرد اتجاه روحي بحت، وإنما ولد التشيع في أحضان الاسلام بوصفه أطروحة مواصلة الامام على القيادة بعد النبي (ص) الفكرية وقيادته السياسية للدعوة على السواء، كما أوضحنا سابقاً عند استعراض الظروف التي أدت إلى ولادة التشيع.

ولم يكن بالامكان بحكم هذه الظروف الذي استعرضناها أن ينفصل الجانب الروحي عن الجانب السياسي في أطروحة التشيّع، تبعاً لعدم انفصال أحدهما عن الآخر في الاسلام نفسه.

فالتشيّع إذن لا يمكن ان يتجزأ الا اذا فقد معناه كأطروحة لحماية مستقبل الدعوة بعد النبي (ص)، وهو مستقبل بحاجة الى المرجعية الفكرية والزعامة السياسية للتجربة الاسلامية. معاً.

وقد كان هناك ولاء واسع النطاق للامام علي عليه السلام في صفوف المسلمين باعتباره الشخص الجدير بمواصلة دور الخلفاء الثلاثة في الحكم، وهذا الولاء هو الذي جاء به الى السلطة عقيب قتل عثمان، وهذا الولاء تشيعاً روحياً وسياسياً، وانما التشيّع الروحي والسياسي داخل إطاره، فلا يمكن أن نعتبره مثالاً على التشيّع المجزأ.

أما أن الامام عليه السلام كان يتمتع بولاء روحي وفكري من عدد من كبار الصحابة في عهد أبي بكر وعمر، من قبيل سلمان وأبي ذر وعمّار وغيرهم، ولكن هذا لا يعني أيضاً تشيّعاً روحياً منفصلاً عن الجانب السياسي، بل انه

تعبير عن أيمان أولئك الصحابة بقيادة الامام عليه عليه السلام للدعوة بعد وفاة النبي (ص) فكرياً وسياسياً، وقد انعكس ايمانهم بالجانب الفكري من هذه القيادة بالولاء الروحي المتقدم.

وانعكس ايمانهم بالجانب السياسي منها بمعارضتهم لخلافة أبي بكر وللاتجاه الذي أدى الى صرف السلطة عن الامام عليه السلام الى غيره.

ولم تنشأ في الواقع، النظرة التجزيئية

لم يكن التشيع منذ ولادته مجرد اتجاه روحي بحت

للتشيّع الروحي بصورة منفصلة عن التشيّع السياسي، ولم تولد في ذهن الإنسان الشيعي إلا بعد أن استسلم للواقع وانطفأت جذوة التشيّع في نفسه كصفة محدودة لمواصلة القيادة الاسلامية في بناء الأمة وانجاز عملية التغيير الكبيرة التي بدأها الرسول الكبير (ص)، وتحولت الى مجرد عقيدة يطوي الانسان عليها قلبه أو يستمد منها سلوته وأمله.

وهنا نصل الى ما يقال من أن أئمة أهل البيت عليهم السلام من أبناء الحسين عليه السلام اعتزلوا السياسة وانقطعوا عن الدنيا، فنلاحظ أن التشيّع بعد أن فهمناه كصيغة لمواصلة القيادة الاسلامية، والقيادة الاسلامية لا تعني إلا ممارسة عملية التغيير التي بدأها الرسول لكريم (ص) لتكميل بناء الأمة على أساس الإسلام، فليس من الممكن أن نتصور تنازل الأئمة عليهم السلام عن الجانب السياسي إلا إذا تنازلوا عن التشيّع.

غير أن الذي ساعد على تصور اعتزال الأئمة (ع) وتخليهم عن الجانب السياسي من قيادتهم، ما بدا من عدم اقدامهم على عمل مسلح ضدّ الوضع القائم من إعطاء الجانب السياسي من السياسة معنى ضيقاً لا ينطبق إلا على عمل مسلح من هذا القبيل. ولدينا نصوص عديدة عن الأئمة (ع) توضح أن إمام الوقت دائماً كان مستعداً لخوض عمل مسلح إذا وجدت لديه القناعة بوجود الأنصار والقدرة على تحقيق الأهداف الإسلامية من وراء ذلك العمل المسلح.

ونحن إذا تتبعنا سير الحركة الشيعية، نلاحظ أن القيادة الشيعية المتمثلة في أئمة أهل البيت (ع) كانت تؤمن بأن تسلم السلطة وحده لا يكفي ولا يمكن من تحقيق عملية التغيير إسلامياً، ما لم تكن هذه السلطة مدعمة بقواعد شعبية واعية تعي أهداف تلك السلطة وتؤمن بنظريتها

في الحكم، وتعمل في سبيل حمايتها وتفسير مواقفها للجماهير، وتصمد في وجه الأعاصير.

وفي نصف القرن الأول بعد وفاة النبي (ص) كانت القيادة الشعبية ـ بعد إقصائها عن الحكم ـ تحاول باستمرار استرجاع الحكم بالطرق التي تؤمن بها، لأنها كانت تؤمن بوجود قواعد شعبية واعية أو في طريق التوعية من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، ولكن بعد نصف قرن ـ وبعد أن لم يبق من هذه القواعد الشعبية الشيء المذكور ونشأت أجيال مائعة في ظل الانحراف ـ لم يعد تسلم الحركة الشيعية للسلطة محققاً للهدف الكبير، لعدم وجود القواعد الشعبية المساندة بوعي وتضحية.

وأمام هذا الواقع كان لا بد من عملين:

احدهما: العمل من أجل بناء هذه القواعد الشعبية الواعية التي تهيء أرضية صالحة لتسلم السلطة.

والآخر: تحريك ضمير الأمة الاسلامية وإرادتها، والاحتفاظ بالضمير الاسلامي والارادة الاسلامية بدرجة من الحياة والصلابة تحصن الأمة ضد التنازل المطلق عن شخصيتها وكرامتها للحكام المنحرفين.

والعمل الأول هو الذي مارسه الأئمة (ع) بأنفسهم، والعمل الثاني هو الذي مارسه ثائرون علويون كانوا يحاولون بتضحياتهم الباسلة أن يحافظوا على الضمير الاسلامي والارادة الاسلامية: وكان الأئمة (ع) يسندون المخلصين منهم.

قال الإمام علي بن موسى الرضا (ع) للمأمون وهو يحدثه عن زيد بن علي الشهيد: «أنه كان من علماء آل محمد (ص) غضب لله فجاهد أعداءه حتى قتل في سبيله، ولقد حدثني أبي موسى بن جعفر (ع) انه سمع أباه جعفر يقول: رحم الله عمي زيداً، إنه دعى الى الرضا من آل محمد، ولو ظفر أوفى لله من ذلك انه قال: أدعوكم الى الرضا من آل محمد»[1].

وفي رواية أنه ذكر بين يدي الإمام الصادق (ع) خرج من آل محمد (ص)، فقال: لا أزال أنا وشيعتي بخير ما خرج الخارجون من آل محمد خرج وعليّ نفقة عياله[2].

فترك الأئمة (ع) إذاً العمل المسلح بصورة مباشرة ضد المنحرفين، لم يكن يعني تخليهم عن الجانب السياسي من قيادتهم وانصرافهم إلى العبادة، وإنما كان يعبر عن اختلاف صيغة العمل السياسي التي تحددها الظروف الموضوعية وعن إدراك معمق لطبيعة العمل التغييري وأسلوب تحقيقه.

●●●

(١) الوسائل، كتاب الجهاد.
(٢) السرائر لابن ادريس.

السالك والمريد

عن عنوان البصري ـ وكان شيخاً قد أتى عليه أربع وتسعون سنة ـ قال: كنت أختلف إلى مالك بن أنس، فلما قدم جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام إختلفت إليه وأحببت أن آخذ عنه كما أخذت عن مالك، فقال لي يوماً: إني رجل مطلوب، ومع ذلك لي أوراد في كل ساعة في آناء الليل وأطراف النهار فلا تشغلني عن وردي، وخذ عن مالك واختلف إليه كما كنت تختلف، فاغتممت من ذلك وخرجت من عنده، وقلت في نفسي لو تفرس فيّ خيراً ما زجرني عن الاختلاف إليه والأخذ عنه، فدخلت مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسلمت عليه، ثم رجعت من الغد إلى الروضة وصليت فيها ركعتين، وقلت: أسألك يا الله يا الله أن تعطف عليّ قلب جعفر، وترزقني من علمه ما أهتدي به إلى صراطك المستقيم، ورجعت إلى داري مغتماً، ولم أختلف إلى مالك بن أنس لما أشرب قلبي من حب جعفر، فما خرجت من داري إلا للصلاة المكتوبة، حتى عيل صبري فلما ضاق صدري تنعّلت وترديّت وقصدت جعفراً، وكان بعد ما صليت العصر، فلما حضرت باب داره إستأذنت عليه، فخرج خادم له فقال: ما حاجتك؟ فقلت السلام على الشريف، فقال هو قائم في مصلاه، فجلست بحذائه فما لبث إلا يسيراً إذ خرج فقال: ادخل على بركة الله، فدخلت وسلمت عليه فردّ عليّ السلام وقال اجلس غفر الله لك، فجلست فأطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال: أبو من؟ قلت أبو عبد الله، قال ثبت الله كنيتك، ووفقك يا أبا عبد الله، ما مسألتك؟ فقلت في نفسي لو لم يكن لي في زيارته والتسليم عليه غير هذا الدعاء لكان كثيراً، ثم رفع رأسه فقال ما مسألتك؟ قلت: سألت الله أن يعطف على قلبك، ويرزقني من علمك، وأرجو أن الله تعالى أجابني في الشريف ما سألته.

فقال: يا أبا عبد الله ليس العلم بالتعلم، وإنما هو نور يقع في قلب من

يريد الله تعالى أن يهديه، فان أردت العلم فاطلب في نفسك أوّلاً حقيقة العبودية، واطلب العلم باستعماله، واستفهم الله يفهّمك، قلت يا شريف قال قل يا أبا عبد الله، قلت يا أبا عبد الله ما حقيقة العبودية؟ قال: ثلاثة أشياء: أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوله الله ملكاً، لأن العبيد لا يكون لهم ملك، يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله تعالى به ولا يدبّر العبد لنفسه تدبيراً، وجعل إشتغاله فيما أمر الله تعالى به ونهاه عنه، فاذا لم ير العبد لنفسه فيما خوله الله ملكاً هان عليه الانفاق فيما أمره الله تعالى أن ينفق فيه، وإذا فوّض العبد تدبير نفسه إلى مدبره هان عليه مصائب الدنيا وإذا إشتغل العبد بما أمره الله ونهاه لا يتفرغ منها إلى المراء والمباهاة مع الناس، فاذا أكرم الله العبد بهذه الثلاثة هان عليه الدنيا وإبليس والخلق، ولا يطلب الدنيا تكاثراً، وتفاخراً، ولا يطلب ما عند الناس عزّاً وعلواً، ولا يدع أيامه باطلاً، فهذا أوّل درجة التقى، قال الله تعالى: **﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾**.

قلت يا أبا عبد الله أوصني، قال أوصيك بتسعة أشياء، فانها وصيتي لمريدي الطريق إلى الله تعالى، أسأله أن يوفقك لاستعماله: ثلاثة منها في رياضة النفس، وثلاثة منها في الحلم، وثلاثة منها في العلم، فاحفظها، وإيّاك والتهاون بها.

قال عنوان: ففرغت قلبي له، فقال: أما اللواتي في الرياضة فايّاك أن تأكل ما لا تشتهيه، فانه يورث الحماقة والبله. ولا تأكل إلا عند الجوع وإذا أكلت فكل حلالاً، وسمّ الله، واذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه، فان كان ولا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه».

وأما اللواتي في الحلم: فمن قال لك إن قلت واحدة سمعت عشراً فقل له إن قلت عشراً لم تسمع واحدة، ومن شتمك فقل له: إن كنت صادقاً فيما تقول، فأسأل الله تعالى أن يغفر لي، وإن كنت كاذباً فيما تقول فأسأل الله تعالى أن يغفر لك، ومن وعدك بالحسنى فعده بالنصيحة والدعاء، وأما اللواتي في العلم فاسأل العلماء ما جهلت، وإياك أن تسألهم تعنتاً وتجربة، وإياك أن تعمل برايك شيئاً، وخذ بالاحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلاً، واهرب من الفتيا هروبك من الأسد، ولا تجعل رقبتك للناس جسراً. قم عني يا أبا عبد الله، فقد نصحت لك، ولا تفسد عليّ وردي، فاني إمرؤ ضنين بنفسي، والسلام على من إتّبع الهدى.

●●●

المرأة بين الاسلام والحضارات

لعلّ المسألة الأبرز والأساس التي نحتاجها في دراستنا هذه حول المرأة والنظرة الإسلامية إليها ـ كما في دراسة أي قانون أو تشريع اسلامي ـ هي التأمل والنظر في الأحكام والقوانين والرسوم الدائرة بين الأمم الحاضرة، والقرون الخالية، لنستبين منها مكانة المرأة عندها، والنظرة إليها فيها، ومن ثم مقارنتها مع النظرة الإسلامية ذات الروح الحية الشاعرة التي قدمت للإنسانية الأنموذج الأفضل في التقنين والتشريع.

ومن هنا فإننا نحتاج في البحث عمّا يراه الإسلام ويعتقده في:

١ ـ هوية المرأة والمقايسة بينها وبين هوية الرجل.

٢ ـ وزنها، ومدى مؤثريتها في الإجتماع الانساني.

٣ ـ حقوقها والأحكام التي شرعت لها.

٤ ـ الأساس الذي بنيت عليه الأحكام المربوطة بها.

إلى استحضار المراحل التي مرت بها في حياتها،قبل طلوع الإسلام، وما كانت الأمم غير المسلمة تعاملها عليه،إلى مكانتها والنظرة إليها في عالمنا هذا المتمدّن منه وغيره.

فماذا عن هذه المراحل والأدوار؟ وما الذي أبدعه الإسلام في أمرها؟ هذا ما سنتطرق إليه في بحثنا ان شاء الله تعالى.

حياة المرأة في الأمم الوحشية

كانت حياة المرأة في هذه الأمم والقبائل كأولئك القاطنين في افريقيا واستراليا والجزر المسكونة بالاوقيانوسية. وأمريكا القديمة وغيرها، بالنسبة إلى حياة الرجال، كحياة الحيوانات الأليفة والأنعام، بالنسبة إلى حياة الإنسان.

فكما يستفيد الإنسان من هذه الحيوانات، ويسخرها لخدمته وراحته ويتصرف بها كيفما يشاء: فيستفيد من شعرها ووبرها ولحمها وعظمها ودمها وجلودها وحليبها وسفادها ونتاجها ونمائها، ويستفيد منها في حمل الأثقال والحرث والصيد... الخ، كذلك المرأة بالنسبة له. فوجودها لا يتعدى كونها حيواناً عجماوياً مدَّخراً لتوفير الخدمة، بجميع أشكالها للرجل القوّام عليها، أباً كان أو زوجاً. فهي موجود تابع الوجود والحياة للرجل الولي عليها ولا. من حقوق لها إلا ما رآه الإنسان المالك لها حقاً لنفسه.

ومن هنا فإن المتعدي عليها لا يؤاخذ إلا لكونه تعدّى على مالكها في ملكه، لا عليها بالذات.

وكان للرجل في هذه الأمم ان يبيع المرأة ممن شاء، وكان له أن يهبها لغيره ويقرضها لمن استقرضها للفراش أو الإستيلاد أو الخدمة أو غير ذلك. وكان له أن يسوسها حتى بالقتل. وكان له ان يخلي عنها، ماتت أو عاشت. كما كان له ان يقتلها ويرتزق بلحمها كالبهيمة، وخاصة في أيام المجاعة وفي المآدب. وكان له ما لها من مال وحق وخاصة في ايقاع المعاملات من بيع وشراء وأخذ وردّ.

وفي مقابل ذلك كله، كان على المرأة أن تطيع الرجل، أباً كان أو زوجاً، فيما يأمر به طوعاً أو كرهاً. وكان عليها عدم الإستقلال في أمر يرجع إليه أو إليها. وكان عليها ان تلبي أمور البيت والأولاد وجميع ما تحتاج إليه حياة الرجل فيه. كما كان عليها ان تتحمل من الأعمال أشقها كحمل الأثقال وعمل الطين وما يجري مجراها، ومن الحرف أرداها وسفاسفها.

ومن العجب ما بلغ به الأمر عند بعض القبائل، حيث ان المرأة كانت اذا وضعت حملها، قامت من فورها إلى حوائج بيتها، ونام الرجل مكانها أياماً يتمرض ويداوي نفسه.

هذا مجمل القول في حياة المرأة في هذه الأمم. ومن أراد الاطلاع على تفاصيل أوفى فليراجع الكتب المؤلفة في ذلك.

حياة المرأة في الأمم المتمدنة قبل الاسلام

تتمثل هذه الأمم بتلك التي كانت تعتمد آداباً ورسوماً موروثة غير مستندة إلى كتاب أو قانون، كالصين والهند ومصر القديمة وإيران ونحوها.

وتشترك هذه الأمم فيما بينها في أن المرأة عندهم لم تكن ذات استقلال وحرية في الإرادة، أو في الأعمال، بل كانت تحت الولاية والقيمومة، ليس لها حق في إنجاز شيء على نحو الإستقلال، ولاحتى المداخلة في الشؤون البيتية، واطاعة الرجل في جميع أوامره وارادته. زد على ذلك مشاركتها له في جميع أعمال الحياة من كسب وغيره.

وقد كانت المرأة في هذه الأمم أرفه حالاً بالنسبة إليها في الأمم غير المتمدنة حيث لم تكن تقتل ليقدم لحمها طبقاً للأكل، ولم تحرم من الملكية بالكلية، بل كانت تتملك من ارث أو زواج أو غير ذلك، إلا انها لم تكن لها حرية التصرف فيما تملك بالإستقلال.

هذا وكان للرجل في هذه الأمم ان يتخذ زوجات عديدات من غير تحديد، وله تطليق من شاء منهن، وله الحق في الزواج بعد موت زوجته دون العكس غالباً.

إلى جانب ذلك. فقد اختصت كل أمة

من هذه الأمم بمختصات حسبما اقتضته الظروف والأوضاع والأماكن. وعلى سبيل المثال: أوجد نظام الطبقات في ايران تمييزاً لنساء الطبقات العليا، فسمح لهن بالتدخل في شؤون الملك والحكومة وبالسعي لنيل السلطة ونحو ذلك، كما سمح بالزواج من المحارم من أم أم بنت أو أخت أو غيرها..

أما في الصين فكان الزواج من المرأة نوعاً من الشراء والمملوكية لها. وكانت المرأة ممنوعة من الإرث ومن مشاركة الرجال ـ حتى ابناءها في التغذي. في حين يستطيع رجال متعددون ان يتشاركوا في الزواج من امرأة واحدة والتمتع بها، والإنتفاع من أعمالها وخدماتها. ويلحق الأولاد في مثل هذه الحالات غالباً بأقوى الأزواج.

وفي الهند كانت المرأة تابعة لزوجها على الإطلاق. فلا يحق لها الزواج بعد وفاته، بل هي بين خيارين: اما حرقها بالنار إلى جانب جسد زوجها، واما ان تعيش ذليلة مدى الحياة.

والمرأة عندهم في حال حيضها خبيثة، واجبة الاجتناب مع ثيابها التي لامستها بشرتها.

وبعبارة موجزة، يمكن وصفها في هذه الأمم كالبرزخ بين الحيوان والإنسان، يستفاد منها استفادة الإنسان المتوسط في امور واجباته، كالولد الصغير بالنسبة إلى وليه. غير انها تحت الولاية والقيمومة دائماً.

وهي في أمم أخرى كانت تعيش تحت سيطرة القانون أو الكتاب كالكلدان والروم واليونان.

فالكلدة والأشور قد حكم فيهم شرع «حمورابي» الذي قضى بتبعية المرأة لزوجها، وعدم استقلالها إرادة وعملاً. كما قضى هذا الشرع للزوج ان يطلق زوجته أو يخرجها من منزله، في حال قصرت في واجباتها تجاهه، أو استقل شيء فيها. وله في هذه الحالة ايضاً ان يتزوج عليها ويعاملها بعد ذلك معاملة ملك اليمين، وفي حال أخطأت الزوجة في تدبير شؤون البيت بإسراف أو تبذير، فللزوج رفع امرها إلى القاضي ليغرقها في الماء بعد اثبات الجرم.

والروم الذين كانوا يعيشون تحت حكم القوانين المدنية الوضعية، التي أول ما بدأ وضعها في حدود سنة أربعماءة قبل الميلاد ليستكمل تدريجياً فيما بعد، كانوا يعطون للبيت نوعاً من الإستقلال في تدبير شؤونه الخاصة. ولرب البيت، وهو زوج المرأة وأبو أولادها، نوع ربوبية. لذا كان أهل البيت يعبدونه، كما كان هو يعبد من تقدّمه من آبائه. وقد كانت ارادته ماضية ومشيئته نافذة في جميع ما يريده ويأمر به ـ في أهل بيته من زوجة وأولاد. وتعدى ذلك إلى اعطائه صلاحية القتل لأحدهم، دون أدنى معارضة، في حال رؤيته صالح ذلك. والمرأة (زوجة أو بنتاً) في هذا المجتمع أردأ حالاً من

الأبناء الصغار التابعين محضاً لرب الأسرة. حيث لم تكن تعدّ من أجزاء المجتمع، فلا تسمع لها شكاية، ولا تنفذ منها معاملة، ولا تصح منها مداخلة في الأمور الاجتماعية. في حين كان للرجال من اعضاء الأسرة أعني الأبناء والأدعياء (الأولاد الملحقين بغير آبائهم، وكانت هذه مسألة شائعة معمولاً بها عندهم، وكذا عند اليونان والفرس وعند العرب) حق الإستقلال في حياتهم الخاصة، في حال سمح رب البيت لهم به.

ولم يقتصر الأمر على عدم عد النساء اجزاءً اصيلة للإجتماع الإنساني، بل تعداه إلى عدم جعلهن اجزاء أصيلة في البيت أيضاً. حيث كان الأعضاء الرئيسيون للبيت الرجال والذكور فقط. ومن هنا فإن القرابة الرسمية المؤثرة في التوارث عندهم كانت مختصة بالرجال فيما بينهم. أما النساء فلا قرابة بينهن وبين الرجال كالزوجين، أو الأم مع الأبناء أو الأخت مع الأخ، او البنت مع الأب، ولا بينهن أنفسهن كالأم مع البنت أو الأخت مع الأخت. لذا فإن النساء لا يرثن ولا يتوارثن. نعم القرابة الطبيعية (وهي التي يوجبها الإتصال في الولادة) وبالجملة، كانت المرأة عندهم طفيلية الوجود، تابعة الحياة في المجتمع (المجتمع المدني والبيتي) إرادتها وزمام حياتها بيد رب البيت أباً أو زوجاً أو غيرهما، يفعل بها ما يشاء، ويحكم فيها ما يريد، فربما باعها، وربما وهبها، وربما اقرضها للتمتع، وربما اعطاها مقابل حق يراد استيفاؤه منه كدين وخراج ونحوهما، وربما ساسها بقتل أو ضرب غيرهما. وبيده تدبير مالها ان ملكت شيئاً بالزواج أو الكسب ـ مع اذن وليها ـ لا بالإرث لأنها محرومة منه.

أما زواجها فبيد ابيها أو واحد من سراة قومها. وطلاقها بيد زوجها.

أما اليونان فالأمر عندهم في نشوء البيوت وأربابها فيها كان قريب الوضع من وضع الروم.

ان قيمة المرأة في الاسلام مساوية لقيمة الرجل لاشتراكها في أصل الانسانية

فقد كان الإجتماع المدني وكذا الاجتماع البيتي عندهم متقوماً بالرجال، والنساء لهم تبع. ولذا لم يكن لهنّ استقلال في ارادة ولا فعل إلا تحت ولاية الرجال. إلا انهم في هذا ناقضوا انفسهم، حيث ان قوانينهم الموضوعة كانت تحكم للنساء بالإستقلال لا بالتبع، إلا في حال موافقة ذلك مع نفع الرجال فكانت المرأة تعاقب عندهم بجميع جرائمها بالإستقلال، ولا تثاب لحسناتها، ولا يراعى جانبها إلا بالتبع وتحت ولاية الرجل.

وهذا هو الشاهد الدّال على عدم اعتبار هذه القوانين للمرأة جزءاً ضعيفاً تابعاً في المجتمع فحسب، بل جراثيم مضرّة مفسدة لمزاج الاجتماع، مضرّة بصحته. إلا ان للمجتمع حاجة ضرورية إليها من حيث بقاء النسل، فيجب لذلك ان يعتني بشأنها. ومن هنا فإنها تذاق ويال أمرها إن جنت أو أجرمت، ويحتلب الرجال درها ان أحسنت أو نفعت. ولا تترك لحريتها صوناً من شرها. فهي كالعدو الذي يهزم فيؤخذ أسيراً مسترقاً طوال حياته تحت القهر، إن جاء بالسيئة يؤاخذ بها، وان جاء بالحسنة لم يشكر لها.

هذا الأمر هو الذي جعلهم يعتقدون بأن الاجتماع، انما يتقوم بالرجال، وألزمهم على الاعتقاد، بأن الأولاد بالحقيقة هم الذكور، وان بقاء النسل متوقف على بقائهم، وهو بالتالي الذي مهّد لظهور عمل التبني والإلحاق بينهم. حيث ان البيت الذي ليس لربه ولد ذكر كان محكوماً بالخراب، والنسل مكتوباً عليه بالفناء والإنقراض، مما اضطر امثال هؤلاء إلى اتخاذ أبناء لأنفسهم خوف الانقراض وموت الذكر. فدعوا غير ابنائهم لأصلابهم أبناءً لأنفسهم، وجعلوهم ابناءً رسميين يرثون ويورثون، ورتبوا عليهم آثار الأبناء الصُلبيين.

وكان الرجل العاقر فيهم، يعمد إلى بعض أقاربه كأخيه أو ابن أخيه فيورده فراش أهله لتعلق منه، وتلد ولداً يدعوه لنفسه، يقوم به بقاء بيته.

أما الأمر في التزويج والتطليق في اليونان، فقد كان قريباً منها في الروم وكان من الجائز عندهم تعدد الزوجات إلا أن الرسمية منهن واحدة. وتعتبر الباقيات غير رسميات.

حال المرأة عند العرب ومحيط حياتهم

محيط نزول القرآن

كان العرب يقطنون شبه الجزيرة العربية، وهي منطقة حارة، جدبة الأرض. وكانوا يعيشون كقبائل بدوية بعيدة عن الحضارة والمدنية، تعتمد غالباً على شن الغارات والسلب والنهب.

تتصل منطقتهم بإيران من جانب، وبالروم من جانب ، وببلاد الحبشة والسودان من جانب آخر.

وقد كانت عاداتهم ورسومهم عادات ورسوماً متوحشة. وربما وجد بينها شيءً من عادات الروم وفارس، ومن عادات الهند ومصر القديمة أحياناً.

وكانت العرب لا ترى للمرأة استقلالاً في الحياة ولا حرمة ولا شرافة إلا حرمة البيت وشرافته. وكانت تحرمها من الميراث. وتجيز للرجل تعدد الزوجات من غير تحديد، كاليهود، وكذا في الطلاق. وكانت

تئد البنات وتتشاءم من ولادتهن لاعتبارهن مجلبة للعار. وكان الرجل يتوارى من القوم، اذا ولدت له بنت، من سوء ما بشر به، إلا انه كان يسرُّ بالأبناء مهما كثروا ولو بالإلحاق أو التبني. وقد كانوا يتبنون الولد لزنى ارتكبوه بمحصنة. وربما تنازع رجال من صناديدهم وأولو الطول منهم في ولد ادّعاه كل لنفسه.

وربما لاح في بعض البيوت استقلال لنسائهم، وخاصة للفتيات في أمر الزواج، حيث كان يراعى فيه رضا المرأة واختيارها. وهذا الأمر عندهم يشبه داب الأشراف في ايران الجاري على تمايز الطبقات.

وكيف ما كان، فقد كانت معاملتهم للنساء مركبة من معاملة أهل المدينة من الروم وايران كتحريم الإستقلال في الحقوق، والشركة في الأمور العامة الاجتماعية كالحكم والحرب، وأمور الزواج إلا استثناءاً، ومن معاملة أهل التوحش والبربرية. ولم يكن حرمانهن هذا من باب تقديس ارباب البيوت وعبادتهم، بل من باب غلبة القوي للضعيف، واستخدامه له.

أما في شأن عبادتهم، فكانوا جميعاً (رجالاً ونساء) يعبدون أصنافاً تتميز من قبيلة إلى أخرى حسبما تصورها لهم أوهامهم. وقد تصنع هذه الأصنام من الحجارة أو الخشب أو التمر وقد بلغ هواهم في ذلك إلى مثل ما نقل عن بني حنيفة أنهم اتخذوا لهم صنماً من الحيس (تمر مجبول بالسمن) فعبدوه دهراً طويلاً، ثم أصابتهم مجاعة فأكلوه فقيل فيهم:

أكلت حنيفة ربها زمن التقحم والمجاعة
لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعة

ووصل الأمر بهم إلى عبادة حجر، حتى اذا وجدوا حجراً أحسن منه طرحوا الأول جانباً وعبدوا الثاني. واذا صادف ولم يجدوا شيئاً يعبدونه اتخذوا حفنة من التراب ثم جاءوا بغنم فحلبوه عليها ثم طافوا بها يعبدونها.

هذه عيّنات من أحوال المرأة في المجتمع الإنساني بأدواره المختلفة، قبل الإسلام وزمن ظهوره، آثرنا فيها الاختصار ويستنتج من جميع ذلك:

أولاً: انهم كانوا يرونها انساناً في مستوى الحيوان العجم، أو إنساناً ضعيف الإنسانية منحطاً لا يؤمن شره وفساده لو

أطلق من قيد التبعية، واكتسب الحرية في حياته، والنظر الأول أنسب لسيرة الأمم الوحشية والثاني لغيرهم، وثانياً : انهم كانوا يرون في وزنها الاجتماعي انها خارجة من هيكل المجتمع المركب غير داخلة فيه، وإنما هي من شرائطه التي لا غناء عنها كالمسكن لا غناء عن الالتجاء اليه، أو انها كالأسير المسترق الذي هي من توابع المجتمع الغالب، ينتفع من عمله ولا يؤمن كيده على اختلاف المسلكين، وثالثاً

كانت الشعوب القديمة تنظر إلى المرأة كمخلوق دون مستوى الانسان

انهم كانوا يرون حرمانها في عامة الحقوق التي أمكن انتفاعها منها إلا بمقدار يرجع انتفاعها إلى انتفاع الرجال القيمين بأمرها، ورابعاً : ان أساس معاملتهم معها فيما عاملوها به هو غلبة القوي على الضعيف وبعبارة أخرى هو قريحة الاستخدام، هذا في الأمم غير المتمدنة، وأما الأمم المتمدنة فيضاف عندهم إلى ذلك ما كانوا يعتقدونه في أمرها: انها انسان ضعيف الخلقة لا تقدر على الاستقلال بأمرها، ولا يؤمن شرها، وربما اختلط الأمر اختلاطاً باختلاف الأمم والأجيال.

لا زالت بأجمعها ترى في أمر المرأة ما قصصناه عليك، وتحسبها في سجن الذلة والهوان حتى صار الضعف والصغار طبيعة لها، عليها نبت لحمها واشتد عظمها وعليها كانت تحيا وتموت، وعادت ألفاظ المرأة والضعف والهوان كاللغات المترادفة بعدما وضعت متبائنة، لا عند الرجال فقط بل وعند النساء - ومن العجب ذلك - ولا ترى أمة من الأمم وحشيها ومدنيها إلا وعندهم أمثال سائرة في ضعفها وهو ان أمرها، وفي لغاتهم على اختلاف اصولها وسياقاتها والحانها أنواع من الاستعارة والكناية والتشبيه مربوطة بهذه اللفظة (المرأة) يقرّع بها الجبان، ويؤنب بها الضعيف، ويلام بها المخذول المستهان والمستذل المنظلم، ويوجد من نحو قول القائل:

وما أدري وليت إخال ادري
أقوم آل حصن أم نساء

مئات وألوف من النظم والنثر في كل لغة.

وهذا في نفسه كاف في ان يحصل للباحث ما كانت تعتقده الجامعة الإنسانية في أمر المرأة وإن لم يكن هناك ما جمعته كتب السير والتواريخ من مذاهب الأمم والملل في أمرها، فإن الخصائل الروحية والجهات الوجودية في أمة تتجلى في لغتها وآدابها.

ولم يورث من السابقين ما يعتني

بشأنها ويهتم بأمرها سوى بعض ما في التوراة وما وصى به عيسى بن مريم عليهما السلام من لزوم التسهيل عليها والارفاق بها.

(ماذا أبدعه الإسلام في أمرها)

واما الإسلام اعني الدين الحنيف النازل به القرآن فإنه أبدع في حقها أمراً ما كانت تعرفه الدنيا منذ قطن بها قاطنوها، وخالفهم جميعاً في بناء بنية فطرية عليها كانت الدنيا هدمتها من أول يوم واعفت آثارها، والغى ما كانت تعتقده الدنيا في هويتها اعتقاداً وما كانت تسير فيها سيرتها عملاً.

اما هويتها: فإنه بين أن المرأة كالرجل إنسان وان كل إنسان ذكراً أو أنثى يشترك في مادته وعنصره ولا فضل لأحد على احد إلا بالتقوى، قال تعالى: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم» الحجرات ـ ١٣، فجعل تعالى الإنسان مؤلفاً من زوجين ذكر وأنثى هما معاً وبنسبة واحدة مادة كونه ووجوده، وهو سواء كان ذكراً أو أنثى مجموع المادة المأخوذة منهما، لذا لم يقل تعالى: مثل ما قاله القائل: وإنما أمهات الناس أوعية

ولا قال مثل ما قاله الآخر:

بنونا بنو ابنائنا وبناتنا
بنوهن ابناء الرجال الأباعد

بل جعل تعالى كلاً مخلوقاً مؤلفاً من كل. فعاد الكل امثالاً، ولا بيان اتم ولا ابلغ من هذا البيان، ثم جعل الفضل في التقوى.

وقال تعالى: «إني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض» آل عمران ـ ٩٥، فصرح أن السعي غير خائب والعمل غير مضيع عند الله وعلل ذلك بقوله: «بعضكم من بعض» فعبر صريحاً بما هو نتيجة قوله في الآية السابقة: «إنا خلقناكم من ذكر وأنثى»، وهو ان

حيث كان التقديس للمادة والقوة الظاهرية فإن المرأة كانت تتعرض لظلم كبير

الرجل والمرأة كليهما من نوع واحد من غير فرق في الأصل والسنخ.

ثم بيّن بذلك ان عمل كل واحد من هذين الصنفين غير مضيع عند الله لا يبطل في نفسه، ولا يعدوه إلى غيره، «كل نفس بما كسبت رهينة»، لا كما كان يقوله الناس: إن عليهن سيئاتهن، وللرجال حسناتهن من منافع وجودهن.

وإذا كان لكل منهما ما عمل، ولا كرامة إلا بالتقوى، ومن التقوى الأخلاق الفاضلة والإيمان بدرجاته، والعلم النافع،

والعقل الرزين، والخلق الحسن، والصبر، والحلم فالمرأة المؤمنة بدرجات الإيمان، أو المليئة علماً، أو الرزينة عقلاً، أو الحسنة خلقاً أكرم ذاتاً وأسمى درجة ممن لا يعادلها في ذلك من الرجال في الإسلام، كان من كان، فلا كرامة إلا للتقوى والفضيلة.

وفي معنى الآية السابقة وأوضح منها قوله تعالى: «من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون» النحل ـ ٩٧، وقوله تعالى: «ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب» المؤمن ـ ٤٠، وقوله تعالى: «ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا» النساء ـ ١٢٤.

وقد ذم الله سبحانه الاستهانة بأمر البنات أبلغ الذم وذلك صريح قوله تعالى: «وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون» النحل ـ ٥٩، ولم يكن تواريهم إلا لعدهم ولادتها عاراً على المولود له، وعمدة ذلك أنهم كانوا يتصورون أنها ستكبر فتصير لعبة لغيرها يتمتع بها، وذلك نوع غلبة من الزوج عليها في أمر مستهجن، فيعود عاره إلى بيتها وأبيها، ولذلك كانوا يئدون البنات وقد بالغ الله سبحانه في التشديد عليه حيث قال: «وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت» التكوير ـ ٩.

وقد بقي من هذه الخرافات بقايا عند المسلمين ورثوها من أسلافهم، ولم يغسل رينها من قلوبهم المريونة فتراهم يعدون الزنا عاراً لازماً على المرأة وبيتها وإن تابت دون الزاني وإن أصر، مع أن الإسلام قد جمع العار والقبح كله في المعصية، والزاني والزانية سواء فيها.

وأما وزنها الاجتماعي : فإن الاسلام ساوى بينها وبين الرجل من حيث تدبير شؤون الحياة بالارادة والعمل فإنهما متساويان من حيث تعلق الارادة بما تحتاج إليه البنية الانسانية في الأكل والشرب وغيرهما من لوازم البقاء، وقد قال تعالى: «بعضكم من بعض» آل عمران ـ ١٩٥، فلها ان تستقل بالإرادة ولها أن تستقل بالعمل وتمتلك نتاجهما كما للرجل من غير فرق، «لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت».

فهما سواء فيما يراه الاسلام ويحققه القرآن والله يحق الحق بكلماته غير أنه قرر فيها خصلتين ميزها بهما الصنع الالهي: احدهما : أنها بمنزلة الحرث في تكون النوع ونمائه فعليها يعتمد النوع في بقائه فتختص من الأحكام بمثل ما يختص به الحرث، وتمتاز بذلك من الرجل. والثانية أن وجودها مبني على لطافة البنية ورقة الشعور،

ولذلك أيضاً تأثير في أحوالها والوظائف الاجتماعية المحولة إليها.

فهذا وزنها الاجتماعي، وبذلك يظهر وزن الرجل في المجتمع، واليه تنحل جميع الأحكام المشتركة بينهما وما يختص به احدهما في الإسلام، قال تعالى: «ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسئلوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما» النساء ـ ٣٢، يريد أن الأعمال التي يهديها كل من الفريقين الى المجتمع هي الملاك لما اختص به من الفضل، وان من هذا الفضل ما تعين لحوقه بالبعض دون البعض كفضل الرجل على المرأة في سهم الإرث، وفضل المرأة على الرجل في وضع النفقة عنها، فلا ينبغي أن يتمناه متمن، ومنه ما لم يعين إلا بعمل العامل كائناً من كان كفضل الايمان والعلم والعقل والتقوى وسائر الفضائل التي يستحسنها الدين، «وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»، «واسئلوا الله من فضله».

وأما الأحكام المشتركة والمختصة: فهي تشارك الرجل في جميع الأحكام العبادية والحقوقية والاجتماعية فلها أن تستقل فيما يستقل به الرجل من غير فرق إرث ولا كسب ولا معاملة ولا تعليم وتعلم ولا اقتناء حق ولا دفاع عن حق وغير ذلك إلا في موارد يقتضي طباعها ذلك.

وعمدة هذه الموارد: أنها لا تتولى الحكومة والقضاء، ولا تتولى القتال بمعنى المقارعة لا مطلق الحضور والاعانة على الأمر كمداواة الجرحى مثلاً، ولها نصف سهم الرجل في الإرث، وعليها: الحجاب وستر مواضع الزينة، وعليها: أن تطيع زوجها فيما يرجع إلى التمتع منها، وتدرك ما فاتها بأن نفقتها في الحياة على الرجل: الأب أو الزوج، وان عليه ان يحامي عنها منتهى ما يستطيعه، وأن لها حق تربية الولد وحضانته.

وقد سهل الله لها أنها محمية النفس والعرض حتى عن سوء الذكر، وان العبادة موضوعة عنها أيام عادتها ونفاسها، وأنها لازمة الأرفاق في جميع الأحوال.

والمتحصل من جميع ذلك: انها في جانب العلم لا يجب عليها إلا العلم بأصول المعارف والعلم بالفروع الدينية (أحكام العبادات والقوانين الجارية في الاجتماع)، واما في جانب العمل فعليها القيام بأحكام الدين وطاعة الزوج فيما يتمتع به منها، وأما تنظيم الحياة ـ الفردية بعمل او كسب بحرفة أو صناعة والورود فيما يقوم به نظام البيت والمداخلة في ما يصلح المجتمع العام كتعلم العلوم واتخاذ الصناعات والحرف المفيدة للعامة والنافعة في الاجتماعات مع حفظ الحدود الموضوعة فيها، فلا يجب عليها شيء من ذلك ولازمه أن يكون الورود في جميع هذه الموارد من علم أو كسب أو شغل أو

تربية ونحو ذلك كله فضلاً لها تتفاضل به، وفخراً لها تتفاخر به، وقد جوّز الإسلام بل ندب إلى التفاخر بينهن، مع أن الرجال نهوا عن التفاخر في غير حال الحرب. والسنة النبوية تؤيد ما ذكرناه.

وأما الأساس الذي بنيت عليه هذه الأحكام والحقوق فهو الفطرة، وقد علم من الكلام في وزنها الاجتماعي كيفية هذا البناء ونزيده ههنا إيضاحاً فنقول:

لا ينبغي أن يرتاب الباحث عن أحكام

ان المرأة والرجل لا يتفاضلان الا بميزة التقوى وهي أمر خارج عن الذكورة والانوثة

الاجتماع وما يتصل بها من المباحث العلمية أن الوظائف الاجتماعية والتكاليف الاعتبارية المتفرعة عليها يجب إنتهاؤها آخر الأمر إلى الطبيعة، فخصوصية البنية الطبيعية الإنسانية هي التي هدت الإنسان الى هذا الاجتماع النوعي الذي لا يكاد يخلو النوع منه في أي زمان، وإن أمكن أن يعرض لهذا الاجتماع المستند الى اقتضاء الطبيعة، ما يخرجه عن مجرى الصحة إلى مجرى الفساد. كما يمكن أن يعرض للبدن الطبيعي ما يخرجه عن تمامه الطبيعي إلى نقص الخلقة، أو عن صحته الطبيعية الى السقم والعاهة.

فالاجتماع بجميع شؤونه وجهاته سواء كان اجتماعاً فاضلاً أو اجتماعاً فاسداً ينتهي نهاية الأمر الى الطبيعة وان اختلف القسمان من حيث ان الاجتماع الفاسد يصادف في طريق الانتهاء ما يفسده في آثاره بخلاف الاجتماع الفاضل.

فهذه حقيقة، وقد أشار اليها تصريحا أو تلويحاً الباحثون عن هذه المباحث وقد سبقهم الى بيانه الكتاب الالهي فبينه بأبدع البيان، قال تعالى: «الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى» طه ـ ٥٠، وقال تعالى: «الذي خلق فسوّى والذي قدّر فهدى» الأعلى ـ ٣، وقال تعالى: «ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها» الشمس ـ ٨، الى غير ذلك من آيات القدر.

فالأشياء ومن جملتها الانسان إنما تهتدي في وجودها وحياتها الى ما خلقت له وجهزت بما يكفيه ويصلح له من الخلقة، والحياة القيمة والكفيلة بسعادة الانسان هي التي تنطبق أعمالها على الخلقة والفطرة انطباقاً تاماً، وتنتهي وظائفها وتكاليفها الى الطبيعة إنتهاءاً صحيحاً، وهذا هو الذي يشير اليه قوله تعالى: «فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم» الروم ـ ٣٠.

والذي تقتضيه الفطرة في أمر الوظائف

والحقوق الاجتماعية بين الأفراد ـ على أن الجميع إنسان ذو فطرة بشرية ـ أن يساوي بينهم في الحقوق والوظائف من غير ان يحيا بعض ويضطهد آخرون بإبطال حقوقهم، لكن مقتضى هذه التسوية التي يحكم بها العدل الاجتماعي ليس ببذل كل مقام اجتماعي لأي فرد من أفراد المجتمع، فيتقلد الصبي مثلاً على صباوته والسفيه على سفاهته ما يتقلده الانسان العاقل المجرب، أو يتناول الضعيف العاجز ما يتناوله القوي المقتدر من الشؤون والدرجات، فإن في تسوية حال الصالح وغير الصالح إفساداً لحالهما معاً.

بل الذي يقتضيه العدل الاجتماعي ويفسر به معنى التسوية: ان يعطى كل ذي حق حقه وينزل منزلته، فالتساوي بين الأفراد والطبقات إنما هو في نيل كل ذي حق خصوص حقه من غير أن يزاحم حق حقاً، او يهمل او يبطل حق بغياً او تحكماً ونحو ذلك، وهذا هو الذي يشير اليه قوله تعالى: «ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة» الآية، كما مر بيانه، فإن الآية تصرح بالتساوي في عين تقرير الاختلاف بينهن وبين الرجال.

ثم إن اشتراك القبيلين أعني الرجال والنساء في أصول المواهب الوجودية أعني، الفكر والإرادة المولّدتين للاختيار يستدعي اشتراكها مع الرجل في حرية الفكر والإرادة أعني الاختيار، فلها الاستقلال بالتصرف في جميع شؤون حياتها الفردية والاجتماعية عدا ما منع عنه مانع، وقد اعطاها الاسلام هذا الاستقلال والحرية على أتم الوجوه كما سمعت فيما تقدم، فصارت بنعمة الله سبحانه مستقلة بنفسها منفكة الإرادة والعمل عن الرجال وولايتهم وقيمومتهم، واجدة لما لم يسمح لها به الدنيا في جميع أدوارها وخلت عنه صحائف تاريخ وجودها، قال تعالى: «فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف» الآية، البقرة ـ ٢٣٤.

لكنها مع وجود العوامل المشتركة المذكورة في وجودها تختلف مع الرجال من جهة أخرى، فإن المتوسطة من النساء تتأخر عن المتوسط من الرجال في الخصوصيات الكمالية من بنيتها كالدماغ والقلب والشرايين والأعصاب والقامة والوزن على ما شرحه فن وظائف الأعضاء، واستوجب ذلك أن جسمها ألطف وأنعم كما أن جسم الرجل أخشن وأصلب، وأن الإحساسات اللطيفة كالحب

هل تعتبر دعاوى تحرير المرأة لمصلحة المرأة أم لشيء آخر؟!

ورقة القلب والميل إلى الجمال، والزينة أغلب عليها من الرجل كما أن التعقل أغلب عليه من المرأة، فحياتها حياة إحساسية كما أن حياة الرجل حياة تعقلية.

ولذلك فرق الإسلام بينهما في الوظائف والتكاليف العامة الاجتماعية التي يرتبط قوامها بأحد الأمرين أعني التعقل، والإحساس، فخص مثل الولاية والقضاء والقتال بالرجال لاحتياجها المبرم إلى التعقل والحياة التعقلية فجعلها للرجل دون المرأة، وخص مثل حضانة الأولاد وتربيتها وتدبير المنزل بالمرأة، وجعل نفقتها على الرجل، وجبر ذلك له بالسهمين في الإرث (وهو في الحقيقة بمنزلة أن يقتسما الميراث نصفين ثم تعطى المرأة ثلث سهمها للرجل في مقابل نفقتها أي للانتفاع بنصف ما في يده فيرجع بالحقيقة إلى أن ثلثي المال في الدنيا للرجال ملكاً وعيناً وثلثيها للنساء انتفاعاً فالتدبير الغالب إنما هو للرجال لغلبة تعقلهم، والانتفاع والتمتع الغالب للنساء لغلبة إحساسهن). ثم تمم ذلك بتسهيلات وتخفيفات في حق المرأة مرت الإشارة اليها.

فان قلت: ما ذكر من الأرفاق البالغ للمرأة في الاسلام يوجب انعطافها في العمل فإن ارتفاع الحاجة الضرورية إلى لوازم الحياة بتخديرها، وكفاية مؤنتها بإيجاب الانفاق على الرجل يوجب إهمالها وكسلها وتثاقلها على تحمل مشاق الأعمال والأشغال فتنمو على ذلك نماءاً ردياً وتنبت نباتاً سيئاً غير صالح لتكامل الاجتماع، وقد أيدت التجربة ذلك.

قلت: وضع القوانين لمصلحة حال البشر أمر، وإجراء ذلك بالسيرة الصالحة والتربية الحسنة التي تنبت الانسان نباتاً حسناً أمر آخر، والذي أُصيب به الاسلام في مدة سيره الماضي هو فقد الأولياء الصالحين والقوام المجاهدين فارتدت بذلك أنفاس الأحكام، وتوقفت التربية ثم رجعت القهقري. ومن أوضح ما أفادته التجارب

القطعية أن مجرد النظر والاعتقاد لا يثمر أثره ما لم يثبت في النفس بالتبليغ والتربية الصالحين، والمسلمون في غير برهة يسيرة لم يستفيدوا من الأولياء المتظاهرين بولايتهم القيمين بأمورهم وتربيتهم الصالحة التي يجتمع فيها العلم والعمل. فهذا معاوية، يقول على منبر العراق حين غلب على أمر الخلافة ما حاصله: إني ما كنت أقاتلكم لتصلوا أو تصوموا فذلك اليكم وإنما كنت أقاتلكم لأتأمر عليكم وقد فعلت، وهذا شأن غيره من الأمويين والعباسيين فمن دونهم. ولولا استضاءة هذا الدين بنور الله الذي لا يطفأ والله متم نوره ولو كره الكافرون لقضي عليه منذ عهد قديم.

(حرية المرأة في المدنية الغربية)

لا شك ان الاسلام له التقدم الباهر في إطلاقها عن قيد الاسر، وإعطائها الاستقلال في الارادة والعمل، وأن أمم الغرب فيما صنعوا من أمرها إنما قلدوا الاسلام ـ وإن أساؤوا التقليد والمحاذاة ـ فإن سيرة الاسلام حلقة بارزة مؤثرة أتم التأثير في سلسلة السير الاجتماعية وهي متوسطة متخللة، ومن المحال أن يتصل ذيل السلسلة بصدرها دونها.

وبالجملة فهؤلاء بنوا على المساواة التامة بين الرجل والمرأة في الحقوق في هذه الأزمنة بعد ان اجتهدوا في ذلك سنين مع ما في المرأة من التأخر الكمالي بالنسبة إلى الرجل كما سمعت إجماله.

والرأي العام عندهم تقريباً: أن تأخر المرأة في الكمال والفضيلة مستند إلى سوء التربية التي دامت عليها ومكثت قروناً لعلها تعادل عمر الدنيا مع تساوي طباعها طباع الرجل.

ويتوجه عليه: أن الاجتماع منذ أقدم عهود تكونه قضى على تأخرها عن الرجل في الجملة، ولو كان الطباعان متساويين لظهر خلافه ولو في بعض الأحيان ولتغيرت خلقة أعضائها الرئيسة وغيرها إلى مثل ما في الرجل.

ويؤيد ذلك أن المدينة الغربية مع غاية عنايتها في تقديم المرأة، ما قدرت بعد على إيجاد التساوي بينهما، ولم تزل الإصاءات في جميع ما قدم الإسلام فيه الرجل على المرأة كالولاية والقضاء والقتال تقدم الرجال وتؤخر النساء، وأما ما الذي أورثته هذه التسوية في هيكل الاجتماع الحاضر فسنشرح ما تيسر لنا منه في بحوث لاحقة إنشاء الله تعالى.

عن تفسير الميزان
للعلامة الطباطبائي «قده»
بتصرف

●●●

العلامة الطباطبائي

على لسان ابنته

تعتبر المذكرات والكلمات التي أوردتها «نجمة السادات الطباطبائي» كريمة السيد الطباطبائي وزوجة الشهيد قدوسي، في حوارها مع مجلة «زن روز» من أروع ما كتب عن العلامة السيد. وحرصاً منا على دقة الموضوع ننقل الحوار بكامله.

انني اصغر بكثير من ان أتجرأ على وصفه والكلام عنه، فالكلام عنه هو من وظيفة تلامذته. وبالنسبة لي شخصياً، فلم يكن لي الاتصال الوافي به، لأنني تزوجت في سنّ مبكرة، وانتقلت من منزله. الا انني لا زلت اذكر اخلاقه منذ ايام طفولتي.

فقد كانت اخلاقه محمدية، بكل ما للكلمة من معنى. فلم اره يوماً عصبياً، ولم اسمع صوته مرتفعاً ابداً، ومع ذلك كان حازماً وصلباً، غير متسامح في اداء الصلاة إلا في وقتها. وبالجملة، كان حازماً في تطبيق الأحكام الشرعية بدقة، محباً لتلاوة القرآن كثيراً، وبصوت مرتفع وجميل، دقيقاً في مواعيده وبرنامجه اليومي. وقد سمعته يوماً يقول: «انه لم يُخلّ ببرنامجه اليومي منذ سن السادسة والعشرين. كان مع كثرة الاعمال التي يقوم بها، لا يرد سائلاً، ولا يتذمّر من أحد. وحتى في سنيّ مرضه الأخيرة كان حريصاً على مقابلة الناس، والرد على أسئلتهم.

كان شديد الصلة بتلاميذه، خصوصاً الشهيد مطهري. وكان يقول في ذلك: «لذتي الكبيرة هي في جلوسي مع اصدقائي (تلامذته) فالدنيا تشرق اثناء وجودهم معي».

كان قليل الكلام، موصياً بذلك. واذا تكلم فيأتي كلامه دون تكلف، مفهوماً لكل الناس. كان متواضعاً، متجنباً لاظهار شخصيته الرفيعة. وكان اذا ما مدح بشيء كأداء الصلاة في وقتها، يقول: انها عادة

اعتدت عليها وليست بشيء يذكر». ويرد على من يمدح درسه: «انه كلام الله والدين وما انا سوى ناقل له».

كان يحرص على الحضور إلى درسه وحيداً، بدون مرافقة أو حراسة. وحينما كان يدرس العلوم الإسلامية في طهران، كان ينتقل في سيارات النقل المشترك (الاوتوبوس). كان يحب البقاء مع الناس دائماً وان يكون كواحد منهم. وقد كان يجلس معهم في حرم المعصومة (ع) في قم المقدسة.

وكان يردد دائماً: «الشخصية هي موهبة من الله ولا يستطيع الإنسان كسبها بالامور الدنيوية».

كان أبي مرهف الإحساس ذا روحية عالية، اذا ذكر الله امامه تغيرت أحواله. وكان اذا مرَّ بمنظر طبيعي تظهر منه حالات عجيبة، لا ندري معها في أي عالم هو. كان يقول لي: «احياناً يغفل الإنسان عن الله، فيصاب بالحمَّى أربعين يوماً ليصرخ من اعماق قلبه: «يا الله».

كان رضوان الله عليه عاطفياً، يشعر بآلام الآخرين، ويتألم لألمهم ويتأثر لمصابهم. الا انه، من جهة اخرى، اذا ما اصيب بمصيبة أو عرضت له مشكلة كان صبوراً كتوماً، لا يعبأ بالإهانة الموجهة إليه. وكان يقول: «يجب أن لا يحقد عبد الله على أحد». وعندما كان اصحابه يطلبون منه الرد على منتقديه الذين يتهمونه بالكذب، كان يقول لهم: «لا حيف في ذلك، يجب على المرء أن لا يتأثر بهذه الأمور. وبكلمة موجزة، كانت اخلاقه اخلاقاً محمدية.

س: كيف كان تعامله في البيت، مع عائلته؟

ج: الصفات التي تحدثنا عنها فيما مضى، ترجمها السيد واقعاً عملياً في تعامله معنا في البيت. فقد كان - بالرغم من كل أشغاله وأعماله التي لا تنتهي - يخصص لنا ساعة ظهيرة كل يوم، نقضيها معه بشكل مرحٍ لا تحس معها انك أمام فيلسوف عظيم.

كان يجلُّ والدتي كثيراً ويعاملها بكل محبة. ولم أسمع مرة - طوال الفترة التي قضيتها معهما - بجدال دار بينهما. كان دائماً يمدحها ويثني عليها ويذكرها بالخير، ويدعو لها ويذكر صبرها في النجف الأشرف، وتصبُّرها على فقد ثمانية من أولادها أثناء الولادة. كان لطيفاً جداً معنا، واعطانا الكثير من وقته الثمين. وكثيراً ما كان يجلس ليعلمنا الرسم والكتابة.

كان رضوان الله عليه يهتم كثيراً بأداء اموره الشخصية في البيت بنفسه، فقد

كان يسبقنا لترتيب مكان نومه، وينظف غرفته بنفسه، ويتسابق مع والدتي في ذلك، حتى في اواخر أيامه عندما كان مريضاً، لم يرضَ ان أخدمه. وعندما كنت أزوره، كان يصر على أن يحضر لي الشاي بنفسه ويقول لي: «أنت ضيفي، والأهم من ذلك أنك من السادة، فلا يجوز أن آمرك».

عندما مرضت أمي (مرض الموت) لم يسمح لها ان تقوم بأي شيء من أعمال البيت، وطلب منها ان تبقى مستلقية على السرير، وترتاح. وقد قام هو بخدمتها وخدمتنا، وعطل جميع أعماله لمدة ٢٧ يوماً كذلك حتى فارقت روحها الحياة (رحمة الله عليها). وبعد موتها كان دائم التردد على قبرها، وله في ذلك عبارته المعروفة: «على العبد ان يؤدي حق الغير، ومن لم يستطع اداء حق العبد، فلن يستطيع ان يؤدي حق المولى». وهنا لا بد من ذكر ملاحظة مهمة الا وهي أن والدتي كانت بحق امرأة مثالية بكل ما للكلمة من معنى. كانت مصداقاً للمرأة المؤمنة المجاهدة الصابرة و...».

س : كيف كان العلامة الطباطبائي ، صاحب هذه الشخصية العلمية العظيمة ، يوفق بين أعماله الكثيرة ودوره كأب لعائلة كبيرة؟

ج: كما قلت سابقاً، فقد كان يخصص والدي لنا ساعات معينة كل يوم، وغالباً ما تكون بعد الظهر، حيث كان يناديا: انتهت دروسي الخاصة. تعالوا لنجلس معاً». وكان يقول: «هذه افضل ساعاتي، وفيها أنسى كل متاعبي. كان على علاقة شديدة بنا وبأمي، وكان اذا ما أتانا ضيف قام لمساعدتها في خدمته، مع انها لم تكن تسمح له، لأنها هي صاحبة الكلمة في البيت. فقد كانت تهتم بنا وبدراستنا، وهي التي تدير المنزل، وكان رضوان الله عليه يرتاح لها كثيراً.

س : كيف كان تعامل العلاّمة مع اطفاله من الناحية التربوية؟

ج: ان الاحترام الذي كان يكنه السيد العلامة للجميع، لم يقتصر على الكبار فقط، بل تعداه ليشمل الاطفال أيضاً، خصوصاً الفتيات منهم. فقد كان يصفهن بالنعمة الإلهية، وكان يوصيهن دائماً بالصدق، ويتلو القرآن الكريم على مسامعهن بصوت مرتفع، ويروي لهن بعض الأحاديث التي يعتقد بتأثيرها فيهن. كان يلاعب الاطفال ويمازحهم، مراعياً في ذلك كل اعتدال، وكان يجيب على اسئلتهم بدون كلل أو ملل، وكثيراً ما كان يوصيني بالإنتباه للأولاد

واعطائهم حريتهم مع الحرص على تأديبهم، ويقول لي: «من الخطأ ان يتنابز الأهل والوالدان، ويتشاجرا أمام اعين اطفالهم». وقد لمست ذلك في بيتنا. فإن الحياة الودية والتفاهم اللذين كانا يحكمان العلاقة بين والدَيّ قد أثرا فينا كثيراً.

وكما قلت سابقاً، فقد كان يعامل البنات معاملة خاصة، ويكنُّ لهن محبة خاصة. وكان يعتقد أن هكذا تعامل معهن سيجعلهن زوجات وامهات صالحات. وحين كان اعتقاد والدتي أن على البنات أن يشاركن في أعمال المنزل، كان جوابه لها: «لا تضغطي عليهن، فهن بحاجة إلى الراحة، ولم يحن موعد عملهن بعد». وكنا اذا ما طهينا طعاماً واخطأنا فيه تقوم والدتي غاضبة، فيقوم هو يهدىء من روعها قائلاً: إنهن أمانة الله في اعناقنا، ويجب ان نحترمهن، لأن في ذلك مسرة لله تعالى وللنبي (ص).

تربيته لي لم تقتصر على ايام طفولتي، بل تعدتها إلى عهد زواجي. فقد كان يوصيني دائماً، وكلما ذهبت لزيارته: ان احسن معاملة زوجي واهله، وخصوصاً والدة زوجي.

كان يحب اولادي كثيراً، وخصوصاً ولدي «حسن». فقد جاءني في طهران ليعزيني باستشهاد ولدي «حسن»، فلم اعرف كيف اقابله، وكانت حالته كحالتي، وعندما رآني قال لي: «ماذا اقول لك يا نجمة»؟ قلت: «لا شيء الشكر لله»، قال: احسنت، فإن الله الذي اعطاك اياهم (اولادك) قد أخذ أفضلهم، فالحمد لله».

إلا ان القلب في النهاية يحزن لفقده لذا كان يقول: «عندما تعود بي ذاكرتي إلى «حسن» وكيف كان يسألني، ترتعد جميع اعضائي ويتغير حالي».

أما من الناحية التعليمية، فقد كان يرغب لأخي الكبير ان يتعلم العلوم الدينية، ولكنه لم يفعلها لأسباب أجهلها، فانزعج والدي منه. وبالنسبة للإناث، فكان الهدف الأول لهن، في نظره، هو الزواج. وهذا الأمر يقع في المرتبة الأولى،

ويأتي بعده تحصيل العلم في الدرجة الثانية. وكان لا يمانع تعليم البنت حتى بعد زواجها.

س : هل كان لزوجته دور وتأثير في نجاحه العلمي ، من وجهة نظره (عليه الرحمة) .

ج: كان دائماً يذكر والدتي بالخير ويقول: «ان هذه المرأة هي التي أوصلتني إلى هذا المقام، وهي شريكتي في ذلك، وكل كتاب كتبته فإنها تملك نصفه».

س : بشكل عام ، كيف ينظر السيد العلامة إلى المرأة؟ وما هو دورها في المجتمع بنظره؟

ج: كان رضوان الله عليه يقول: لو لم يكن للمرأة دور مهم، لما جعل الله نسل الائمة من السيدة فاطمة عليها السلام. ان المرأة الصالحة تحول العالم إلى جنة، والمرأة الطالحة تحوّله إلى جحيم، كذلك البيت. إذاً فالمرأة لها دور مهم في الحياة الإسلامية، وهي شريك الرجل في اكثر الأشياء. وكان يرى أن على المرأة التي تنتهي من تربية أولادها أن تنطلق في المجتمع وتسعى لإصلاح ما فسد فيه.

س : كيف كانت علاقته بآية الله الشهيد قدوسي؟

ج: العلاقة بين والدي والشهيد قدوسي (زوجي) قديمة. فقد كان زوجي تلميذاً لوالدي، تعلم منه الادب والعلم، كما تعلم من أبويه. وكان أبي يثق به كثيراً، لذا قبل زواجي منه على صغر سنّه. والعلاقة بينهما كانت قائمة على الاحترام. وكثيراً ما مدح أبي الشهيد واثنى على قدراته العقلية. فقد سمعته يقول مراراً: «ان الله اعطى هذا الرجل عقلاً وحلماً عجيبين». لهذا السبب كان يولّيه الكثير من أعماله، وكان يقول: «ان العمل الذي اعطيه لآية الله قدوسي ينجح دائماً، وانا اثق به وبأعماله».

عندما استشهد آية الله قدوسي لم نخبره بسبب حالته الصحية ولكنه عرف بالأمر (من دون ان يخبره أحد من الناس) فتحمّل المصاب وصبر، وقد بدا عليه ذلك.

س : كيف كانت علاقته الدنيا وبالأمور المادية؟

ج: حياتنا الاجتماعية كانت عادية أو أقل. وقد عشنا حوالي احد عشر سنة في النجف الأشرف حياة علمائية، بمعنى ان وضعنا الاجتماعي كان كسائر أوضاع الطلبة. واضافة إلى ذلك فقدت والدتي ثمانية أطفال بعد الولادة مباشرة. وكان

صبرها في ذلك عجيباً. وكان والدي يراعي شعور والدتي كثيراً في ذلك.

كان والدي لا يحب الإسراف في كل شيء، وخصوصاً في الطعام، وكان لا يتناول إلا صنفاً واحداً عن المائدة.

عندما رجعنا إلى ايران، عشنا حوالي العشر سنوات في تبريز، إلا ان والدي أصرّ بعدها على الذهاب إلى قم، وترك الراحة والطقس الجميل في تبريز، فقضى بقية حياته في قم عالماً متواضعاً لا تهمه الامور المادية في شيء.

س : كيف كان ينظر العلامة الطباطبائي إلى الامام (قده) وإلى الثورة الإسلامية؟

ج: كانت علاقته بالإمام وطيدة منذ القدم، يسودها الاحترام المتبادل. ومع انه كان قليل الاهتمام في السياسة، الا انه كان من مؤيدي الثورة، يتابع اخبارها، ويعمل على نصرتها قبل النصر وبعد. فمن الوقائع التي حصلت معه انه: غضب كثيراً عندما أبعد الشاه الملعون الإمام المقدس (قده) إلى الخارج، ورفض قبول شهادة الدكتوراة في الفلسفة التي قررت جامعة طهران منحه إياها. واعتبرها هدية الشاه له ليسكت ويرضى عنه، وقال: لن اخاف من الشاه ولن أقبل شهادة الدكتوراة.

س : ما هو سر رقيه واعتلائه؟

ج: تحدثت عدة مرات حول هذه المسألة مع الشهيد قدوسي (رض) وكان رأيه أن القدرة الذاتية شرط، إلا أن المثابرة والجد شرط أهم. فقد كان أبي صاحب همة عالية ومثابرة. فإذا بدأ بعمل يكمله بجد ونشاط، وقد برز هذا من خلال مؤلفاته. وعلى سبيل المثال نراه عليه الرحمة قضى عدة سنوات يعمل على تفسير القرآن ليلاً نهاراً. والظاهر أن فقد والدته في الخامسة من عمره، وأبيه في التاسعة قد أثر في حياته كثيراً، فجعله يعتمد على نفسه منذ الصغر. وقد درس الابتدائي، وانتقل بعدها إلى الحوزة، وكان يقول انه كان يهوى الرسم كثيراً. وقد صرف عليه الكثير من أمواله في شراء ادواته وتعلمه. كان يحب العلم كثيراً، ويذهب من مدينة إلى اخرى ومن قرية لأخرى سيراً على الأقدام لطلبه. ولا يثنيه عن ذلك حرٌّ ولا برد، ولا شمس ولا مطر.

وباعتقادي، ان سر نجاحه هو هذه المثابرة والجدية في العمل.

●●●

أبو سفيان بن الحارث*

الاستاذ السبحاني

كان من بني هاشم....

وكان ابن عم للرسول العظيم... وأخاه من الرضاعة....

لأنه كان ـ كمحمد ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلم ـ واحداً من احفاد عبد المطلب وقد رضع من حليمة السعدية، مرضعة الرسول بعض الوقت.

الا انّ ابا سفيان ـ هذا ـ لم يكن مجرد ابن عم للرسول بل كان زميل طفولته ـ كذلك ـ يوازيه في سنيّ عمره الشريف...

من هنا كان عارفاً بشخصية الرسول العظيمة، وخُلُقه وسجاياه.. معرفة كاملة...

ولهذا كان طبيعياً جداً أن يسارع إلى الايمان بالنبيّ بعد مبعثه بالاسلام..

ويعتنق دينه في يسر واقبال..

ولكن ابا سفيانّ هذا لم يتقاعس عن الايمان فحسب بل وقف ضد الرسالة الاسلامية وفي صف خصوم الرسول الالداء، رغم اواصر القرابة والزمالة التي تربطه برسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلم ـ.

والغريب انّ هذا الموقف العدائي لم يكن موقفاً عابراً بل دام قرابة عشرين سنة لم يتأخر فيها عن توجيه ما عرفه من اذى إلى الرسول!!

وحيث انه كان يتمتع بقريحة شعرية فيّاضة فقد راح يهجو المسلمين، وربما هجا النبيّ ـ ايضاً ـ هجاءً مؤذياً...[1]

ومن الواضح جداً كم يكون للهجاء

(١) ابو سفيان هذا غير أبي سفيان بن حرب والد معاوية..

(١) الاصابة ج٤ ص ٩٠ ـ الاستيعاب. بهامش الاصابة ج٤ ص٨٤ طبقات ابن سعد ج٤ ص ٤٩ ـ ٩٠ ـ الدرجات الرفية ص ١٦٥.

بالشعر من التأثير في ظروف لم يك اعداء الاسلام والرسول من المشركين، ليتقاعسوا عن استخدام أيّة وسيلة عدائية ضد الرسول وضد دينه وضد اتباعه...

ومن الواضح كم كانت أشعار أبي سفيان في مصلحة المشركين اذا اخذنا الاعتبارات السابقة بنظر الاعتبار...

ولكن لماذا ذلك العداء والهجاء؟

وما هو الدافع إليه والباعث عليه؟

لماذا يعادي المرء بمثل هذه المعاداة دين ابن عمّه وهو يعرف عن شخصيته أفضل من الاخرين، اذ خُبر ـ من قبل ـ بخلقه وسجاياه بصدقه وطهره.. وتورعه عن سفاسف الاخلاق...؟!

لا شيء يقوله لنا التاريخ في هذا المجال..

ولكن لعلّ السبب هو ما كان عليه المسلمون من الضعف... وما كان عليه الاعداء من القوّة، في بدء امر الاسلام.. ومطلع بزوغه..

أليست بديهيّة جداً أنّ اكثر الناس يخضعون عادة لضغط الدعايات المضلّلة، وعوامل البيئة والمحيط اكثر ما يتأثرون ـ وقبل أن يتأثروا ـ بمنطق العقل... وعامل الدليل..؟!

اجل:

وكان أبو سفيان هو أيضاً: تأثر بدعايات اعداء الاسلام الضخمة...

فهو ـ ربما ـ كان يفكّر في نفسه: اذا كان الاسلام على حقّ. فلماذا اتباعه في منتهى الضعف.. واعداؤه في منتهى القوّة.؟

اجل هذا هو شأن الكثيرين من الناس وتقييمهم للأمور.

فاكثرهم يقيّمون الاوضاع من خلال هذه السطحية المهلهلة دون ان يتعمّقوا...

فاذا هم لا يرون سوى القشور، أمّا اللباب والاعماق.. فلا.. ولا....

ومهما يكن، فقد تغيّرت نظرة أبي سفيان أخيراً وابدى ميله إلى الاسلام في نهاية المطاف...

وكان هذا ـ تماماً ـ يوم كان الرسول قد أعلن النفير لفتح مكة..

وكانت جحافل الجيش الاسلامي تتقدّم صوب مكة: قاعدة الوثنيين ومحطّ اصنامهم...

في ذلك الوقت الذي كان الاسلام يشهد فيه تألّقَ صفحة جديدة في تاريخه...

فاذا كان المسلمون ـ ذات يوم ـ مستضعفين، يعانون على أيدي خصومهم، ألواناً من العذاب القاسي

وانواعاً من الاذى الاليم.

واذا كانت ضربات المشركين تُلجئهم إلى الفرار بانفسهم وبدينهم من مواطنهم إلى حيث يجدون الامن والاستقرار في ارض الحبشة...

واذا كان النبي ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلم ـ قد ترك مكة وهو يحمل على كتفيه اوجاع ثلاثة عشر عاماً من المطاردة والتشريد والاذى والتنكيل.؟

فها هي صفحة جديدة من المجد الشامخ الساحق تُفتَح امام المسلمين...

فاذا كان كل ذلك صحيحا وواقعاً بالامس وفي أوّل عهد الاسلام فقد تغير كل شيء الآن...

ها هو عسكرٌ لجبٌ عظيم...

ها هي سمعته طائرة في الأفاق...

وها هي صفوف المجاهدين الاشدّاء من المسلمين متراصة، متآلفة، هادفة، كأنها الجبال في عظمتها وكأنها القمم في طموحها... وكأنها الصخور في صلابتها.

نعم لقد تغيّر كل شيء.

وبهذا التغير لا بدّ أنْ تتغيّر النظرات الى الاسلام ولا بدّ أنْ يُنظر إلى امر المسلمين الآن من منظار آخر... وجديد.. لا بدّ.

في محضر الرسول

لما علم ابو سفيان عن تحرك المسلمين ـ وفي مقدمتهم الرسول الامين ـ صوب مكة، دخل منزله، وأمر اهله بالتهيؤ للالتحاق بموكب الرسول على الفور...

... ويكون هذا الموقف مفاجأة لأهل منزله...

مفاجأة حلوة، وعظيمة، وشيّقة دفعتهم ـ فور سماعهم هذا الكلام من أبي سفيان إلى القول بصوت واحد:

قد آن لك أن تُبصر أن العرب والعجم قد تبعت محمداً... وانت في موضع عداوته.. وكنت أولى الناس بنصرته...[1]

ثم أمر أبو سفيان غلامه باحضار راحلته، وغادر مكة بصحبة ولده ـ جعفر ـ بسرعة كبيرة متوجهاً صوب مدينة الرسول.

وهناك في الأبواء (وهي منطقة بين مكة والمدينة) التقى بالرسول وأسلم على يديه..

أمّا كيف تمّ اسلامه وكيف تغاضى الرسول العظيم عن مواقفه المعادية، وحملاته الشعرية التي شنّها على الرسول

---

(١) طبقات ابن سعد ج٤ ص ٥٠.

والمسلمين، طوال عشرين عاماً تقريباً، فلكل ذلك قصة طريفة ولذيذة نفضل ان نسمعها من لسان أبي سفيان نفسه...

يقول أبو سفيان:

خرجنا من مكة نريد رسولَ اللّه ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلم فسرنا حتى نزلنا الابواءَ... وقد نزلت مقدمة رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلم ـ الابواء تريد مكة.. فخفت ان أُقتَل.. وكان رسول اللّه، قد نذر دمي (أي اهدره واباحه) فتنكّرت وخرجت واخذت بيد ابني جعفر فمشينا على اقدامنا نحوا من ميل في الفدارة التي صبّه فيها رسول اللّه الابواءَ.. فتصدينا له تلقاء وجهه ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلم ـ فعرفني فاعرض عنّي مراراً إلى الناحية الأخرى... فتحولت الى ناحية وجهه الأخرى فاعرض عنّي مراراً فاخذني ما قرب وما بعد (من الظنون) وقلت في نفسي: انا مقتول.. قبل أن أصل اليه، واتذكّر رَحِمَهُ، وبِرّه.. وقرابتي به فتمسك ذلك منّي...

وكنت أظن أن رسول اللّه يفرح باسلامي.. فأسلمت..(١)

(١) طبقات ابن سعد ج٤ ص ٥٠ ـ ٥٢.

ارشاد الامام عليّ

اجل ان النبيّ ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلم ـ لم يستطع ان ينسى تلك الاوجاع التي خلّفتها في نفسه عداوات أبيّ سفيان له.. طوال عشرين عاماً.. فتلك الذكريات المرّة القاسية لم تغادر قلبه إلى ذلك الحين...

ولذلك كان على أبي سفيان أن يلتمس وسيلة عاطفية مؤثرة اذا اراد ان ينجو.. وان يجلب ـ بالتالي ـ رضا رسول اللّه بعد ان يثير فيه مشاعر الرحمة والحنان والقربى وما اسرعها الى الاثارة.. وهو رسول الرحمة والمحبة...

ولكن ترى أية وسيلة يمكن لها ذلك؟ ومن ينبغي أن يكون الشفيع.. إلى الرسولَ

الاعظم.. الموجوع فؤاده جداً من اذى أبي سفيان ونظرائه.؟!

لم يكن ثمّة أهل لهذه الوساطة الخطيرة والشفاعة سوى الامام علي ـ عليه السلام ـ ابن عمّ الرسول بل أخيه.. لانه اقرب الناس إلى النبي ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلم ـ واخصّهم لديه منزلةً وأدناهم إلى فؤاده مكاناً.. وأعرفهم بخُلُقه وحاله وادراهم بمواضع العاطفة من قلبه وكل قلبه ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلم ـ عاطفة...

نعم: لم يكن هناك ـ غير (عليّ) يصلح بل يستطيع ان ينقذ أبا سفيان من موت محتّم، ويدخله إلى احضان الاسلام؟

وكان هذا فعلاً...

فقد قال الامام عليّ ـ عليه السلام ـ لأبي سفيان:

(إذهب واقرأ عليه ما قال اخوة يوسف له):

﴿تاللّه لقد آثرك اللّهُ علينا وإنْ كنا لخاطئين﴾

فتأثر يوسف لهذه الكلمة وقال: ﴿لا تثريبَ عليكم اليومَ يغفرُ اللّهُ لكم وهو أرحمُ الراحمين﴾[1]

(١) الدرجات الرفيعة ص ١٦٥ ـ الاصابة ج ٤ ص ٩٠ ـ الاستيعاب ج ٤ ص ٨٤.

وأخذ أبو سفيان بارشاد الامام علي ـ عليه السلام ـ وفعل ما قال له عليٌّ حرفاً بحرف، وقرأ على الرسول ما علّمه... فقبل الرّسول عذره.. وعفا عنه، وقال له ما قال يوسف لاخوته...

وهناك قال الرسول للامام علي ـ عليه السلام ـ

(بَصّرْ ابْنَ عَمّك الوُضُوءَ والسُّنّةَ وَرُحْ به اليّ...)

وبعد أن تعلّم أبو سفيان الوضوء والسنّة راح إلى الرسول ـ مرة أُخرى ـ فأمر رسول اللّه: عليّا ان ينادي في المسلمين ويعلن عن رضا النبيّ عن أبي سفيان:

فنادى عليّ:

(الا إنّ اللّهَ ورسولَه قد رضيا عن أبي سفيان، فارضوا عنه)[1]

كل هذا الذي شاهده أبو سفيان من عطف الرسول وعظمة روحه وسمو أخلاقه وعفوه المطلق عن ما سبق منه..

كل ذلك كان حَرِيّاً بأن يعمق في نفسه الاحساس بالندم والاستحياء من رسول اللّه...

وكان ذلك فعلاً...

فقد ظلّ أبو سفيان ما دام في حضرة

(١) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٥٢.

الرسول لا يرفع رأسه الى الرسول ولا ينظر في وجهه الشريف خجلاً وحياءً...(١)

حقيقة أن أبا سفيان ـ هذا ـ قد أثبت ـ بعد اسلامه ـ لياقته وصلاحيته، وسرعان ما اخذ مكانه في صف الشخصيات الاسلامية العظيمة ورجال الاسلام الكبار الكبار...

على أنّ أبا سفيان الذي كان يتمتع بقريحة شعرية غنية التي طالما استخدمها ضدّ الرسول والمسلمين، كان حزيناً لما بدر منه من هجاء للرسول والمسلمين بشعره: فاذا به يقول في ندمه على ما سبق منه، ابياتاً ظلّت مع الزمن وثيقة ايمانه، واخلاصه ودليل حبّه واعتقاده..

يقول أبو سفيان:

لعمرك إنّي يوم أحمل رايةً
لتغلَبَ خيلُ اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران الصلم ليلُه
فهذا أواني اليومَ أُهدى واهتدى
هدانيَ هاد غير نفس ودلنيَ
علّى الله من طردتُ كل مطرد(٢)

***

ويحلّ العام الثامن من الهجرة..

..... وهذه مكة التي اتخذها اعداءُ الاسلام الوثنيون قاعدة لهم، واتخذوا بيتها المعظّم محطّا لاصنامهم!!

ها هي تُفتَح على أيدي جنود اللّه الّذين يناهز عددُهم اثني عشر ألفاً.

ها هي مكة تصبح تحت تصرف النبيّ والمسلمين...

وها هي الكعبة المعظّمة تطهرُ من ارجاس الاصنام، وتعود المدينة المقدسة التي كانت مسقط رأس الرسول وموطنه الأصيل تضاف إلى اقطار الدولة الاسلامية ويرفرف على ربوعها الوية التوحيد، ويرتفع على ذراها نداؤه.

كل هذا كان لا يزال في بدايته. والمسلمون لا يزالون يعايشون فرحة (الفتح) ساعة نمي إلى الرسول خبرٌ عن استعداد قبيلة (هوازن) لمحاربة المسلمين في قوة كبيرة وعسكرية كاملة...

وفور أنْ يسمع الرسول بهذا النبأ يُصدرُ أوامره فوراً بالتهيؤ العام... ويعدُ المسلَمين بالنصر في المواجهة القادمة، وهزيمة الاعداء...

ثم تحرّك الجيش الاسلامي ذو الاثني عشر ألف جندي نحو مركز تجمع مقاتلي هوزان.. وقد انتدب رسول اللّه امير المؤمنين علياً لحَمل لواء المسلمين.

---

(١) الدرجات الرفيعة ص ١٦٥ ـ الاصابة ج ٤ ص ٩١.

(٢) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٥١ ـ سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٤٣ ـ الاصابة ج ١ ص ٩٠.

ووصل الجيش الاسلامي خلف وادي (حنين) وخيّموا هناك وباتوا ليلتهم...

من جانب آخر انتدبت هوزان لقيادتها واحداً من رجالها المعروفين وهو مالك بن عوف النصريّ...

وعبّأ مالك جيشه ونظّمهم.. وجمعهم في وادي حنين وخطب فيهم خطبة عسكرية قال فيها:

(ليصبّر كل رجل منكم أهلَه خلف ظهره، واكسروا جفون سيوفكم، واكمنوا في شعاب هذا الوادي وفي الشجر فاذا كان في غبش الصبح فاحملوا حملة رجل واحد فهدوا القوم.. فان محمداً لم يلق احداً يحسن الحرب)!!!(١)

ولم تكن قبيلة هوازن ـ على استعدادها وكثرة عددها وقوّة عدتها ـ لتقاس بحجم الجيش الاسلامي في شيء...

فقد كانوا قلّة أمام عدد المسلمين الهائل الذي كان يبلغ اثني عشر الف جندي.

ولهذا اغترّ المسلمون بكثرتهم وقلّة العدد في جانب العدّو وحسبوا أن النصر سيكون من نصيبهم لا محالة... لكثرتهم.

وبعد أن أتمّ الرسول صلاة الصبح أمر جيشه بالانحدار الى وادي (حنين).

وفي هذا الوقت ـ تماما ـ كان مقاتلو هوازن قد كمنوا للمسلمين في الشعاب والاحناء... فباغتوا المسلمين من كل صوب.. فلم تطق صفوف المسلمين الكثيرة ـ التي اعجبتهم ـ لم تطق تلك الحملة المباغتة، والصمود أمامها.

فاضطرت قبيلة (بني سليم) التي كانت تشكّل مقدمة الجيش الاسلاميّ ـ آنذاك ـ اضطرّت إلى التراجع ولاذت الكتائب التالية هي الأخرى ـ بالفرار والتراجع.. ايضاً وانفرط نظام الجيش الاسلاميّ وواجه المسلمين خطرُ هزيمة كبر، واشرف المعسكر الاسلاميّ على اعتاب سقوط محتّم وذريع تضاءل معه كل أمل بانتصار المسلمين!!

وكانت ساعات في غاية الحراجة ـ حقّاً ـ

صمود على طريق اللّه

هنالك ابتلي المسلمون

وهناك تميزّ اصحاب الفداء الحقيقيين عن مدّعيه في غير ما حقيقة.

هناك حيث سطّر أصحاب الصمود ـ بصمودهم البطولي واستقامتهم في سبيل اللّه ـ اسماءَهم في صفحات التاريخ بمداد

---

(١) مجمع البيان ج ٥ ص ١٨.

من الخلود والابديّة...

اجل لقد فرّ المسلمون امام المباغتة القاسية في ذلك اليوم وولّوا وجوههم شطر مكة هاربين دون ان يلوى احدٌ على احد. وثبت عشرة رجال ابطال من المسلمين يضربون بالسيف بين يدي رسول الله كان احدهم الامام عليّ الذي ظلّ يدافع عن الرسول ببسالة مستميتة.

وكان الآخر ابو سفيان الذي ظلّ ـ لفرط علاقته بالنبيّ وحرصه على سلامته ـ آخذاً بزمام بغلة الرسول يتقدّم معه إلى الامام يدفع عنه ويدافع بروح الفدائي..

كل هذا والرسول لا يعلم به... حتّى اذا انجلت الغبرة التفت اليه الرسول وقال:

(مَنْ هذا؟)

فاجابه أبو سفيان قائلاً:

(أخوك أبو سفيان).

قال الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ

(اللّهم نعم... إنه أخي)

ولما احاط المشركون برسول الله نزل النبيّ من بغلته وراح يرتجز قائلاً:

(انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب)

في هذا الاثناء ـ تماماً ـ كان أبو سفيان قد التزم الدفاع المستميت عن الرسول بنفسه...

فقال العباس: هذا أخوك وابن عمّك ابو سفيان فارض عنه

فقال النبيّ: (فعلت فغفر الله كل عداوة عادانيها).

ثم التفت الى ابي سفيان وقال: (انت أخي لعمري).

فسرّ ابو سفيان لهذه الكلمة العطرة سروراً عظيماً.. فاكب يطبع قبلات الشوق على ركاب الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ[1]

***

ولقد انشد أبو سفيان حول مواقفه بحنين اشعاراً رائعة تعكس ايمانه الصادق بقدر ما تعكس شاعريته الفذة...

يقول أبو سفيان:

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٥٠ ـ ٥٢ ـ بحار الانوار ج ٢١ ص ١٤٨ ـ ١٥٦. سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٨٢ ـ ٨٨ ـ تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ٥١ ـ ٥٢.

لقد انتصر المسلمون في غزوة حنين في المال وينصر وتابيد غيبي واندحرت قبيلة هوازن اندحاراً عجيباً وكانت هذه الواقعة ابلغ درس للمسلمين حيث كان عليهم أن لا يغترّوا بكثرتهم بل يعتمدوا على الروح القتالية والمواقف الذاتية.. بدل الاغترار بالنفس ولذلك انزل الله في كل هذا قرآنا يقول:

﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين، إذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين﴾ التوبة ٢٥ ـ ٢٦.

لقد علمت افناء كعب وعامر
غداة حنينٍ حين عم التضعضع
بأني اخو الهيجاء اركب حدّها
امام رسول الله لا اتتعتع
رجاء ثواب الله والله اوسع
اليه تعالى كل امر سيرجع[1]

ولقد كان وفاة الرسول اكبر فاجعة ألمت بالمسلمين فقد تركت كل المسلمين ـ رجالاً ونساء واطفالاً ـ في حزن عميق مُفرح الفؤاد... فكان ذلك الحادث الجلل الذي عبّر عنه كبار الشعراء ـ في صدر الاسلام ـ باشعار وقصائد تقطر اسىً بقدر ما تعبر عن هول الفاجعة العظمى...

وكان أبو سفيان من جملة من عصرت مأساة الوفاة قلبه فقال في ذلك المصاب شعراً فيه الكثير من لون النازلة بقدر ما فيه من روعة الفن...

فهو يقول:

لقد عظمت مصيبتنا وجلّت
عشية قيل قد مات الرسولُ
واضحت ارضنا مما عراها
تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا
يروح به ويغدو جبرئيل[2]

لقد شهد أبو سفيان في عهد الرسول احداثاً كثيرة ونقل عنه من الاحاديث شيئاً كثيراً... إلا أن من اجمل ما نقل هو قول الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ (لا يقدّسُ الله أمةً لا يأخذ الضعيفُ فيها حقّه من القوي)[1]..

والآن حيث تصل صفحات حياة أبي سفيان المشرقة إلى نهايتها تعالوا نشاهد معاً آخر صفحة من تلكم الصفحات الخالدة الوضيئة...

في ايام الحج ابتلى ابو سفيان بمرض عاد معه الى المدينة وما ان احس بقربّ اجله حتى خرج إلى البقيع ـ قبل ثلاثة ايام من موته ـ واحتفر لنفسه قبراً بيديه.. غير انه حينما مات ـ بعد ذلك ـ بثلاثة ايام دُفن الى جانب قبر عقيل..

وفيما كان أبو سفيان راقداً على فراش المرض تحيط به زوجته وابناؤه وعرف ببكائهم لمفارقته. التفت اليهم وقال:

(لا تبكوا عليّ فانا لم اتنطّف بخطيئة منذ اسملت)[2]..

●●●

(١) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٥٢.
(٢) الاستيعاب ج ٤ ص ٨٤ ـ ٨٥.

(١) الاصابة جلد ٤ ص ٩١.
(٢) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٥٣. الحق انه ليس بين ايدينا ما يدل بوضوح على تشيع ابي سفيان الا ما فعله صاحب كتاب الدرجات الرفيعة حيث عد ابا سفيان ـ هذا ـ في طبقات الشيعة.. ثم ان ابا سفيان بعدما ارشده علي ـ عليه السلام ـ الى طريقة يجلب بها رضى النبيّ ـ كما عرفت ـ فاحبّ لذلك علياً يستبعد جداً ان يكون قد ترك علياً بعد وفاة الرسول والتزم خطاً آخر غير خطّ الامام متناسياً وصايا النبيّ في حقّه ـ عليه السلام ـ المؤلف.

مفردات القرآن

يزخر القرآن الكريم بمفردات يصعب فهمها لقلة تداولها. حاول ان تعرف المعنى الصحيح لها. واذا لم تستطع ستجده في الصفحة ٨٩.

١ ـ يَذْرَأ: ينشر ـ يبسط ـ يدفع ـ يأخذ.

٢ ـ أفَضْتُمْ فيه: خضتم فيه: ملتم إليه ـ توسعتم ـ ضيَّقتم.

٣ ـ يأتَلِ: يفرح ـ يجزع ـ يقصِّر ـ يضرب.

٤ ـ وَلْيَضْرِبْنَ: وليؤلمن ـ وليزعجن ـ وليسدلن ـ وليرفعن.

٥ ـ الأيامَى: المساكين ـ الفقراء ـ الأيتام ـ الأرامل (رجالاً ونساءً).

٦ ـ الوَدْقَ: البرق ـ المطر ـ النبات ـ الحشرات.

٧ ـ سَنَا: ضوء ولمعان ـ ظلمة ـ خوف ـ جزع.

٨ ـ مُقَرَّنِينَ: مرتبكين ـ مقيَّدين ـ محروقين ـ مقتولين.

٩ ـ مَرَجَ البَحْرَيْن: قسمهما ـ خلطهما ـ ارسلهما في مجاريهما ـ ذلَّلهما.

١٠ ـ بَرْزَخاً: حاجزاً ـ منزلاً ـ وطناً ـ بحراً.

١١ ـ خِلْفَةً: متعاقبان ـ متراصَّان ـ منيران ـ مظلمان.

١٢ ـ يَعْبَأ: يحب ـ يبغض ـ يكترث ـ يعمل.

١٣ ـ نَزَعَ يَدَهُ: قطعها ـ اخرجها ـ نظَّفها ـ عاينها.

١٤ ـ شِرْذِمَةٌ: مسألة ـ طائفة قليلة ـ مشكلة كبيرة ـ عداوة بعيدة.

١٥ ـ يَأفَكُون: يدرسون ـ يتعبون ـ يموّهون ـ يساعدون.

١٦ ـ المَشْحُون: المسحوب ـ الفارغ ـ المملوء ـ الكبير.

١٧ ـ الجِبِلَّة: القمم ـ الكهوف ـ الجبال ـ الخليقة.

١٨ ـ تَقَلُّبُكَ: تحيّرك ـ تنقُّلك ـ تسلّلك ـ تسمّرك.

١٩ ـ يهيمون: يسرحون ـ يضيعون ـ يخوضون ـ يعملون.

٢٠ ـ آنست: وجدت ـ التقطت ـ لمحت ـ ابصرت إبصاراً بيّناً.

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة من حارس روح الله
الى روح قائد حزب الله

﴿أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾

«صدق الله العلي العظيم»

بسم الله والحمد لله والسلام على رسول الله وآله آل الله والسلام عليك يا قائد حزب الله ويا ناصر روح الله، السلام على لسانك الناطق بتوحيد الله الذي كان سيفاً حاداً ضد اعداء الله، السلام على قلبك الخاشع الذي كان صابراً على تحمل المصائب، السلام على حياتك العقائدية فلولا حياتك ما نمت روح الجهاد في امتك بهذه الرفعة والسلام عليك حين استشهدت فلولا شهادتك ما عرف العالم بأجمعه أين الهدف وأين الحقُ. والسلام على زوجتك الشهيدة التي سلكت طريق سميّة (س) وطريق زينب (س) والسلام على ابنك الشهيد الذي نال طريق علي الأصغر(ع).

ايها الشهيد الكريم

إنك في قلبي آناء الليل واطراف النهار وترافقني حبيبي ذكراك كما ترافق كل

من كان حارساً للاسلام وحافظاً له وكيف استطيع ان انساك فانك كنت مشعلاً ونوراً للمؤمنين، انسا وسروراً للمجاهدين وسراجاً منيراً للمقاومين واصبحت الآن نجمة النصر تلمع في آفاق العالم ويستنير المجاهدون بنورك ويهتدون بهديك.

سيدي الكريم

انك كنت احرص الناس على الشهادة وكنت تحسب الشهادة عرفاناً تاماً واخترتها عن علم ويقين منذ نعومة اظفارك فلم نكن نتوقع منك الا ان تموت شهيداً وكنا نتوقع من اسرائيل مثل هذه الجريمة لأن نار اليهود لا تحرق الا زهور الاسلام المعطرة.

مولاي الكريم

منذ ان رفع الملائكة جسدكَ الطاهر الى عرش الرحمن رأينا النار التي التهبت من جسمك الطاهر وتحوّلت الى شهب نارية حمراء هوت فوق رؤوس اليهود ورأينا انصارك في حزب الله اخذوا سلاحك وانطلقوا يخترقون صدور المعتدين والظالمين وكُنْ على يقين بأن اسرائيل لن تقدر انْ تغلب حزب الله في الميدان لأن حزب الله حق والحق وجود وبقاء وان اسرائيل باطلة والباطل عدم وزوال، ومن المستحيل ان تُحطم اسرائيل البناء الذي بنيَته واذا انهال حجرٌ من احجاره سيبني اخوتك احجاراً بدلا عنه. إن اعداءك كانوا يأملون القضاء على قيادة حزب الله بعد شهادتك أتى ذلك السيد الكرار ليرفع علمك وتبقى القيادة مستمرة بعدك كما بقيت القيادة في ايران بعد الامام الخميني «رضوان الله عليه»

سيدي المجاهد

كل من كان يعتقد أنك مخطىء ويحسب هديك ضلالاً اعترف بأنك على الحق ودربك درب الحسين (ع) وان اخوتك في ايران حينما سمعوا خبر

شهادتك فإنهم سمعوا صوت تحرر القيود عن اقدام المستضعفين وسمعوا نداء تكبير اخوة حزب الله والمقاومة الاسلامية وهم يُصلون في بيت المقدس خلف قائدهم.

يا بطل الاسلام ويا فخر المسلمين

انت الآن في عالم الخلود جنباً الى جنب الانبياء والصالحين ومع الامام الخميني (قده) وقد انكشف لكم كل شيء من اسرار الوجود ولا بد ان يكون قد انكشف لكم ما تفعل امريكا وما تجني اسرائيل وما يتعامل بعض الناس من المثقفين والسياسيين معهما ان بعضهم يمشون وسط عوائل الشهداء يسمعون أنين اطفالهم ولا يتحركون. ويدوسون الارض التي تمتزج بدماء الشهداء ولكنهم يبخلون عليها بالدماء والنفوس. وان اسرائيل قد اثبتت انها لا تخاف من السياسيين ولا تخاف من المثقفين بل تخاف من العلماء الذي يبذلون مُهجهم في طريق الجهاد والفداء ونحن لا نعتبر كل من حرّك سبحته واطال لحيته ووسّع جبته تقيّاً بل التقي كل التقى من كانت فيه ثلاث خصال. **التقوى والعلم والجهاد** كما كان الشيخ راغب حرب وكنت انت متصفاً بهذه الخصال الحميدة.

مولاي المجاهد:

كن مطمئناً بأن شهادتك ستقطع تلك الأيدي الظالمة التي لا ترحم كبيراً ولا تعطف على صغير ورجائي لك السماح لي عن كل تقصير وارجوك ان تسأل الله عز وجل كي يجعلنا حافظي حرمة دمائك ونسير على خطك فإننا نفتخر بك وبكل من استشهد بين يدي الله ونحن انشاء الله بكم لاحقون وعلى آثاركم لمهتدون.

ايران ـ اصفهان ـ حارس الثورة الاسلامية

علي أصغر اشكبوس (ابو كميل)

ما أكثر العلماء المتهتكين الذين يلقون في روع الناس أن الكفاح والبراءة والحرب والمقاومة من عمل أهل الدنيا وطلابها، وأن الدخول في المسائل السياسية وفي أيام الحج أيضاً هو دون شأن الروحانيين والعلماء. إن نفس هذه الإلقاءات والإيحاءات إنما هي أيضاً محسوبة من ضمن السياسات السرية ويقف وراءها القوى الناهبة للعالم.

الإمام الخميني (قده)

الأجوبة الصحيحة — مفردات القرآن — الأجوبة الصحيحة

١ ـ يَدُرّاً: يدفع.
٢ ـ أَفَضْتُمْ فيه: خضتم.
٣ ـ يَأْتَلِ: يقصر.
٤ ـ وَلْيَضْرِبْنَ: وليسدلن.
٥ ـ الأَيامَى: الأرامل (رجالاً ونساءً).
٦ ـ الوَدْقَ: المطر.
٧ ـ سَنَا: ضوء ولمعان.
٨ ـ مُقَرَّنِينَ: مقيَّدين.
٩ ـ مَرَجَ البَحْرَيْنِ: أرسلهما في مجاريهما.
١٠ ـ بَرْزَخاً: حاجزاً.
١١ ـ خِلْفَةً: متعاقبان.
١٢ ـ يَعْبَأُ: يكترث.
١٣ ـ نَزَعَ يَدَهُ: اخرجها.
١٤ ـ شِرْذِمَةٌ: طائفة قليلة.
١٥ ـ يَأْفِكُونَ: يموّهون.
١٦ ـ المَشْحُونِ: المملوء.
١٧ ـ الجِبِلَّةَ: الخليقة.
١٨ ـ تَقَلُّبَكَ: تنقُّلك.
١٩ ـ يَهِيمُونَ: يخوضون.
٢٠ ـ آنَسَ: أبصرت إبصاراً بيّناً.

مسابقة العدد الواحد والثلاثون

حول المسابقة

• هذه المسابقة عبارة عن أسئلة يعتمد في الاجابة عنها على ما ورد في العدد الثلاثون فقط.

• ترسل الاجوبة في ظرف خاص إلى عنوان المجلة (بيروت ص.ب:٢٤/١٣٥) في مهلة أقصاها آخر شهر ذو القعدة ١٤١٤ هـ. و يكتب على الظرف: مسابقة العدد الواحد والثلاثون من المجلة، (مع ذكر الاسم والعنوان الكامل على ورقة المسابقة).

• يعلن عن الاسماء الفائزة في العدد الثالث والثلاثين من المجلة الصادر في الاول من شهر ذو الحجة بمشيئة الله، حيث ستوزع الجوائز على الشكل التالي:

الاول: جائزة ٦٠ ألف ليرة.
الثاني: جائزة ٥٠ ألف ليرة.
الثالث: جائزة٤٠ ألف ليرة.
الرابع: جائزة ٣٠ ألف ليرة.
الخامس: جائزة ٢٠ ألف ليرة.

• ينتخب الفائزون بالقرعة من بين الذين يقدمون إجابات صحيحة وكاملة عن كل الاسئلة الواردة في المسابقة.

• يختار دائماً من الاجوبة المطروحة إجابة واحدة فقط دون أية زيادة من المشارك ، إلا إذا ذكر خلاف ذلك.

أسئلة المسابقة أسئلة المسابقة أسئلة المسابقة

١ ـ كيف يمكن تطبيق رسالات القرآن الكريم؟

٢ ـ ما هي أهم أهداف الصهيونية؟

٣ ـ ما هي الوصية الأساسية التي شدّد عليها القائد الإمام الخامنئي حفظه الله؟

٤ ـ ما هي الأساليب التي استخدمها اليهود لترويج أفكارهم الهدّامة؟

٥ ـ ما هو المشروع الجديد لمجلس الشورى الإسلامي؟

٦ ـ كيف يمكن تحرير القدس؟

٧ ـ ما هي الأساليب الإستكبارية التي يعتمدها الإستكبار؟

٨ ـ كيف ينبغي للعاملين في العمل الإسلامي أن يقتسموا أوقاتهم؟

٩ ـ ما هو الطريق الذي يميز العارف الكاشف عن العابد الناقل؟

١٠ ـ من هو الأفضل بنظر الإسلام؟

مكتبتنا الإسلامية

* الإمام الخميني والمشروع الحضاري

كتاب «الإمام الخميني والمشروع الحضاري» لمؤلفه الدكتور سمير سليمان هو واحد من أفضل المؤلفات التي تناولت الجانب الحضاري في فكر الإمام الخميني (قده). وهو كما هو واضح من العنوان، يعرض للمشروع الحضاري الإسلامي كما يراه الإمام (قده).

والكتاب عبارة عن قسمين جاءا في سبعة فصول. أسس القسم الأول منهما للحضارة من خلال طرحه لها على ضوء المصطلح والمنهج، وعرضه لتاريخ الحضارات والصراع بين نموذجي الحضارة (حضارة الحق وحضارة الباطل). ومن ثم عرض للكلام عن الإمام: رؤيته في صراع النموذجين، ومشروعه الحضاري الإسلامي. وتناول القسم الثاني مسألة الإستنهاض بأهدافه وأبعاده الذي لم يكن عند الإمام إلا استكمالاً لاستنهاض الانبياء (ع) واستنقاذهم الناس من ذل العبودية. واخيراً تناول الكلام عن قواعد الإسلام (المساجد والمجامع والمناسبات الدينية والحسينيات) ودورها في حركة الإستنهاض التي لم يغفل الإمام الخميني عن الإفادة منها.

كتاب قيم، واقع في ١٦٠ صفحة من الحجم الكبير، صادر عن دار الوسيلة.

* التوسل أو الاستغاثة بالارواح المقدسة :

كيف تكون الإستغاثة بغير الله تعالى؟ وهل يجوز التشفع بالرسل والأنبياء والمعصومين أم لا؟ وما هي الوسيلة التي يعتمدها الأولياء في طلب الحاجة من الله؟ وكيف يتم الحلف على الله بحق الأولياء في طلب

مكتبتنا الإسلامية

الحوائج منه سبحانه؟ واخيراً، ما هو حكم الحلف بغير الله كالقرآن والنبي والإمام من وجهة نظر الشرع؟ وهل تعد امثال هذه الأمور عبادة لغير الله وشرك به أم لا؟

هذه التساؤلات وغيرها تجد إجابتها في كتاب «التوسل» لمؤلفه الأستاذ الشيخ جعفر سبحاني.

كتاب مهم، واقع في ٢٢٨ صفحة من الحجم الوسط. يجدر بكل مهتم الاطلاع عليه. طبع في الدار الإسلامية.

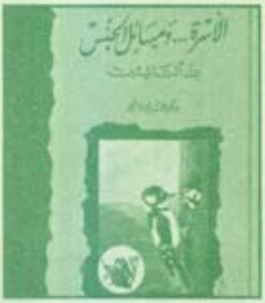

* الاسرة ومسائل الجنس :

هذا الكتاب هو عبارة عن دراسة للقضايا الجنسية عند الأطفال والمراهقين، التي تواجه الكثير من الأسر وارباب المدارس والمربين. وقد استعرضت هذه الدراسة لصور الحالات المختلفة للإنحرافات الجنسية في حياة الطفل، وذلك إنذاراً للآباء والمعلمين ليعوا انحرافات ابنائهم، وليعملوا للحيلولة دون إنزلاقهم قبل فوات الأوان.

كما يتضمن الكلام عن العوائق التي تعترض نمو الأطفال وتكون السبب في انحرافهم.

هذا وقدّم المؤلف لهذه الدراسة بالكلام عن الغريزة الجنسية: أهميتها في حياة الفرد والجماعة، دورها ومدى قوتها، التحولات التي تطرأ عليها، والآثار الوجودية لها.

دراسة قيمة، واقعة في ٣٢٥ صفحة من الحجم الكبير. تأليف الدكتور علي قائمي. من منشورات الربيع.

* الاسس المهمة في النظام الإسلامي :

كتاب «الأسس المهمة في النظام الإسلامي» هو واحد من الكتب المهمة التي تناولت أسس ودستور النظام الإسلامي، والأهداف التي تقام من اجلها الدولة والحكومة

مكتبتنا الإسلامية

الإسلامية. وهو مؤلف من اثني عشر فصلاً تناولت البحث في مواضيع مهمة على رأسها: العلاقة بين الايديولوجية والنظرة الكونية، عناصر النظرة الكونية، اهداف الدولة الإسلامية وخصائصها، ولاية الفقيه ومبدأ الشورى، والحرية والاستقلال ووحدة الأراضي.

كتاب هام، واقع في ١٦٤ صفحة من الحجم الصغير. تأليف فضيلة الشيخ محمد علي التسخيري. طبع في دار الحق.

* منقذ البشرية :

كتاب «منقذ البشرية» هو عبارة عن علاج لكثير من القضايا والأسئلة التي تدور حول الإمام المهدي (عج) ومسألة المهدوية بجميع معالمها، ابتداءاً من بداية الإعتقاد بالمهدي في عصر الرسول (ص)، إلى اخبار المعصومين واحاديث العامة في صحاحهم، إلى المهدية في سائر الأديان. كما عرض الكتاب لولادة الإمام (ع) ومشاهدته في صغره وغيبتيه: الصغرى، ورؤيته فيها، والكبرى. ثم تناول الكلام عن فلسفة الغيبة ماراً بذلك على الكلام عن عمر الإمام الطويل، ونظريات العلماء في تعمير الإنسان، معرجاً بعد ذلك إلى ابداء وجهة نظر مؤلفة من وجود ذرية الإمام (ع) وقصة الجزيرة الخضراء. ومن ثم تعرض للكلام عن علامات الظهور وتهيؤ الإنسانية لظهوره (ع)، وكيفية الظهور، ومصير الكفار، وأخيراً الكلام عن وضعية العالم في عصره، وسيرته.

طرحت هذه المسائل على شكل حوار دار بين مجموعة من المثقفين حاولوا الإستفادة من صديق لهم

مكتبتنا الإسلامية

على إلمام واف بقضية المهدوية.

كتاب شامل، واقع في ٣١١ صفحة من الحجم الكبير، من تأليف العلامة ابراهيم الاميني. ترجمه إلى العربية السيد علي الهاشمي. وطبع في دار الهادي /بيروت.

* ان الدين عند الله الإسلام

يعتبر كتاب العلامة الشهيد مرتضى المطهري «ان الدين عند الله الإسلام» من اهم الكتب التي عرضت لمسألة تنفيذ وتطبيق تعاليم الإسلام وقوانينه في ظل تغير العصور، ومقتضيات الزمان المتغيرة بتقادمه.

فقد رد الشهيد في كتابه على الاشكالية التي تقول بعدم امكانية تطبيق هذه التعاليم (تعاليم الاسلام) التي شرعت لأزمان غابرة، وانها لم تعد صالحة لعصرنا، وذلك ان مقتضيات زماننا تغيرت وان الدعوة إلى تطبيقها هي دعوة إلى الثبات والجمود، فعرض في دفعها للكلام عن مبدأ الاجتهاد والتفقه في الدين مشيراً إلى دور العقل واهميته في استنباط الاحكام، مارأ بذلك على أهم التيارات التي كان لها دور بارز في بث الجمود والتحجر، في التاريخ الاسلامي كالخوارج والاخباريين. كما عرض للكلام عن اطلاق وثبات الاخلاق ومفاهيم العدالة وأكّد في المقابل نسبية الآداب، وأخيراً عرّج في نهاية المطاف إلى الحديث عن مسألة جبر الزمان ومسألة العدالة.

كتاب في غاية الأهمية، واقع في جزئين. من منشورات الربيع.

إن هذة الوصايا تهز الإنسان وتوقظه

(الامام الخميني)

وصية الشهيد المجاهد: هاشم عبد المنعم مهنّا

﴿إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة﴾ صدق الله العظيم.

السلام عليك يا صاحب العصر والزمان المهدي الموعود المنتظر (عج)

السلام عليك يا روح الله ايها الموسوي الراحل المفدى (قده)

السلام عليك ايها القائد العظيم ولي أمر المسلمين السيد علي الخامنئي (حفظه المولى)

السلام على الشهداء الأبرار لا سيما شهداء المقاومة الاسلامية.

السلام عليكم إخوتي احبائي في الله ورحمة الله تعالى وبركاته...

السلام عليك والدي الجليل... كم كنت في شوق لرؤياك قبل رحيلي لأزداد منك زهداً وإيماناً وعلني أقدم بعض كلماتي إليك وأرجو منك أن تسامحني...

والدي العزيز يا من هداني إلى طريق الانبياء.

لكي اسير معهم في خطهم خط المقاومة، وها أنا والدي قد نفذت ما وعدت فأرجو أن تقبل هذا مني وأن تسامحني وأنا على العلم منك بأنك ستكون في سعادة تامة عندما يصلك نبأ استشهادي،

والدي أرجو أن تسامحني إن احزنتك بشيء فهذا الخط قد علمنا عليه سيد الشهداء الإمام الحسين «ع» وأمرنا به فليس كثيراً لو قدمنا القليل من الذي قدمه سيد الشهداء «ع» وهذا ما أمرنا به الإمام الراحل روح الله الموسوي الخميني (قده) وسار عليه السيد الشهيد عباس الموسوي وزوجته وطفلته (رض).

والدتي الحنونة: السلام عليك يا طاهرة، السلام عليك يا مقدسة، أنت كبدي ولا أدري إن كنت أنا كبدك، أمي أعلم أنه عندما يصلك نبأ استشهادي سوف تتألمين وتشتعلين بنار.

ولكنا اعلمي أن هذا يزعجني وكل ما أطلبه منك في هذه الكلمات الصغيرة هو أن تزغردي وتقولي اللهم تقبل منا هذا القربان.

أمي الحنونة: لك الفخر عند السيدة الزهراء «ع» لأنك قد قدمت ابنك شهيداً وكلنا راحلون دون رجعة، ولكن كيف فلكل واحد منا طريق خاص والله تعالى اختارني أن أموت هكذا فهنيئاً

بقيّة الله

لمن يستشهد في سبيل الله ونعم المصير.

ارجو منك والدتي ان تغفري لي وتسامحيني عسى ان لا يشفع لي إن كنت قد فعلت مكروه معك في يومٍ من الأيام.

إخوتي الأعزاء سيروا على درب الإمام ونائبه السيد علي الخامنئي (دام ظله) قاتلوا الصهاينة فإنهم أشد عداوة للذين آمنوا، سامحوني عسى إن فعلت معكم مكروهاً وانا بدوري أسامح الجميع، سيروا في ركب (المقاومة الاسلامية وحزب الله) فإنهم حجة على علماء العالم وإنهم القدوة.

إخوتي في المقاومة الإسلامية وفي حزب الله.

لا تهابوا تلك العصابات ولا تلك الدبابات فإنهم ليسوا شيئاً ما دام هناك قائدٌ فذٌ وشباب لا تهزّهم العواصف والرياح ولا يخافون في الله لومة لائم.

اطيعوا أوامر القائد والسيد فإنه قلب المسلمين في العالم.

إخوتي الاعزاء ساعدوا إخوانكم في المقاومة الإسلامية قدر ما تستطيعون أبذلوا الدماء قدموا الأموال ضحّوا بكل ما تملكون فداهم وفدا الدين.

ابطال المقاومة الإسلامية حجة على علماء العالم كما قال الإمام الراحل (قده) فلنا الفخر بهم والعزة والكرامة... ومهما نقدم نبقى مقصرين بحقهم لأن الذي يقدمونه لن يستطيع أي انسان على تقديمه فليجرب المجربون.

أخواتي العزيزات في حزب الله. سرْنَ على نهج السيدة الزهراء «ع» ساعدْنَ إخوانكم في المقاومة. شاركْنَ في جميع المناسبات فلا تغرنكنَّ زين الدنيا ولا تجعلن للشيطانَ إليكنَّ سبيلاً.

اطلب منكم ومن جميع الاخوة والأخوات المسامحة.

زوجتي العزيزة... سلام عليك يا صامدة، مهما احببتك فإنَّ حبي للشهادة أسمى عطاء.. حبي للشهادة يذيبني يوماً بعد يوم.

ارجو منك أن لا تحزني عليّ فاصبري صبر السيدة زينت «ع»، واقراءي لي الفاتحة ولا تنسي ليالي الجمعة لتطيب روحي واطلب منك المسامحة عسى أني فعلت مكروهاً معك.

أرجو ان يصلي عليّ والدي وعند العذر أرجو ان يصلي علي سماحة السيد حسن نصر الله.

أرجو أن يكون الدفن في بلدة صديقين قرب الشهيد علي بكري.

ابنكم واخوكم العبد الفقير

«أبو زهراء»

١٩٩٣/٦/٥م

بقية الله

ثقافية إسلامية تصدر عن مدرسة الامام المهدي(ع)

إقرأها أول كل شهر

تجد فيها :

المقالات العقائدية والابحاث الاخلاقية والابواب المتنوعة في الفقه والاحكام والسيرة والقرآن والمواضيع الاجتماعية والقصص المفيدة

للاشتراك السنوي

إحصل على نسختك كل شهر من خلال الاشتراك السنوي

واستفد من الحسم الخاص خلال هذه الفترة

إملأ هذه الاستمارة وأرسلها إلى عنوان المجلة مع حوالة بقيمة ٢٥$ على الحساب المصرفي التالي : 02 - 101049 - 2 بنك صادرات ايران - بيروت GH

الاسم : ---------- المهنة: ----------

العنوان: ----------

الرجاء قبول إشتراكي في مجلة بقية الله لمدة سنة واحدة التوقيع:

للاشتراك من خارج لبنان الرجاء إرسال الحوالة بقيمة ٤٠$ لتضاعف أجور البريد

مجلة بقية الله - بيروت - لبنان - ص.ب ٢٤/١٣٥